محمد متولي الشعراوي



أنت تسأل والإسلام يجيب

الجزء السابع

دار المسلم

محمد متولى الشعراوى

أنت تسأل والإسلام يجيب

الجزء السابع

دار المسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

أخى القارئ الكريم :

سلام الله عليك ورحمته وبركاته وبعد ...

فما زلنا نلتقى بك فى رسائلك .

وما زلنا على عهدنا معك « نتجاوب مع أفكارك ومقترحاتك ونرجو المزيد من آراء قرائنا الأحباب . . فليس فى الوجود أجمل من احتكاك الآراء على طريق النور » .

دار المسلم

مقدمــة

بقلم الأستاذ : عبد القادر أحمـد عطا

تستهوني كلمة لفضيلة الشيخ الشعراوي عكف على ترديدها حتى ترسخ في الأفهام ، هي أن الإسلام يجب أن يكون كالماء بلا ألوان . . فالماء قوام الأبدان والإسلام قوام الأرواح . . وكما أن الماء الملون لا يقبل عليه كل الناس ، فكذلك الإسلام الملون لا يقبل عليه كل الناس .

وإني أستأذن فضيلة الشيخ في إبراز هذا المعنى ، لأنه آفة العصر . . حتى لقد حرص الأفراد على تلوين الإسلام بألوانهم هم وحدهم دون أن ينخرطوا في جماعات التلوين التي انتشرت في بلاد الإسلام على صورة مزعجة بالفعل ، توشك أن تمزق الإسلام إلى شيع ونحل متنازعة متناحرة تهدد بالفشل وذهاب الريح .

ومن أوائل من لونوا الإسلام الشيعة والخوارج . . والخوارج قتلوا مخالفيهم من أهل القبلة علانية في الطرقات . . أما الشيعة فقد كانت ألوانهم متجهة إلى العقيدة مباشرة . . إذ قالوا بالرجعة وهي عودة الأئمة بعد الموت إلى الحياة الدنيا . . وقالوا بالبداء . . وهو أن الله قد يقضي بالأمر ثم يبدو له فيعود في قضائه .

وقد حاول الشيعة أن يحصلوا من الإمام على بن الحسين (زين العابدين) على إقرار بألوانهم فسألوه :

— متى يبعث الإمام — يقصدون الإمام علياً رضى الله عنه ؟ »
فقال : يبعث يوم القيامة وتهمه نفسه »

يريد بذلك أن يمحو لوناً أضافوه إلى الإسلام ، يعنى أن الإمام هو الذى يقضى بينهم يوم القيامة » . وهى النحلة التى تبناها حسن الصباح زعيم الحشاشين فيما بعد .

ثم استدار زين العابدين رضى الله عنه إلى من سألوه وقال :

« لقد أحببتمونا حتى صار حبكم علينا عاراً » .

ومنهم من بحث عن آية من القرآن ليصبغ بهامذهبه ونحلته مثل « بيان بن سمعان » الذى ادعى النبوة وقال : إنه المراد من قوله تعالى : **(هذا بيان للناس)** . . وآخر قال : إنه المراد بالكسف فى قوله تعالى : **(وإن يروا كسفاً من السماء ساقطاً)** .. وسمى نفسه بالكسف .

ومن رجع إلى كتاب « الفصل فى الملل والنحل » لابن حزم . . و « الملل والنحل » للشهرستانى هالته الألوان وكثرتها الكاثرة . . وما فيها من ضلال وابتداع وكفر صراح بواح .

وغاية هذه الألوان كانت تمزيق الإسلام ، وإسقاط هيبته ، وتمييع وحدته ، والهجوم على أرضه باسم الدين . . أى إنها كانت أهدافاً سياسية اتخذت لوناً دينياً حتى تجذب إليها الأنصار من هواة الألوان الداكنة أو الفاقعة . . التى اتخذت من حوافزها لوناً من الإباحية ناصرته الشيعة الباطنية . . يبيح للدعاة ودعاة

الدعاة كل ما حرم الله . . ويحرف معانى الألفاظ عن أصلها . فالصلاة هى حفظ أسرار المذهب . . والجنة هى إباحة المحرمات . . ولإمامهم أن يسقط عمن شاء فرضاً من فروض الإسلام لقاء مبلغ معين . . إلى آخر ما هو مسطور فى تواريخ النحل المشئومة .

ولعلنا أدركنا كيف أن تلك الألوان قد هدفت إلى إهدار الشريعة . . كما هدفت إلى سياسة معادية لسياسة الإسلام السنى البرىء من الألوان .

وقد يقول قائل : ولكن ألواننا مازالت إسلامية سنية تدعو إلى الكتاب والسنة .

وأقول : إنهم بدأوا هكذا غيورين على الإسلام ثم انحرفوا بحكم الزمان ، وحكم الطموح النفسى الذى يسيطر على الناس حينما تكثر جماعتهم .

وأقول : إن بوادر التمزق قد ظهرت بين تلك الألوان . . فى صورة تكفير أصحاب الألوان جميعاً ما عدا لون واحد . . وفى صورة اتهام الغير بالبدعة . . وفى الشكلية التى تعنى بها بعض الألوان بعيداً عن الجوهر .

على أننا نقول : ماذا فعل أصحاب الألوان للإسلام إلى الآن ؟ . ماذا فعلوا للكتاب والسنة ؟ ماذا أضافوا من جديد ؟ . إنهم جميعاً ما زالوا فى أماكنهم يجترون القديم ، ولا يستطيعون فهماً جديداً ، بل إنهم شوهوا القديم بما أضافوه إليه من تعصب وكهنوتية ليست من الإسلام .

وأنا أدعو إلى تجمعات إسلامية بناءة إن صدقوا فى نواياهم.

جماعة تكرس جهودها للبحث عن آيات الله فى الأنفس والآفاق حتى تقنع الناس بالحق . .

وهذه الجماعة الأم تقسم نفسها إلى طوائف .

فطائفة تبحث عن الحق فى نفس الإنسان . . ومنه تخلص إلى تدوين علم النفس الإسلامى بدلا من علم النفس المشبوه الذى يلوث عقول أبنائنا فى الجامعات .

وطائفة تبحث عن الحق فى طبقات الأرض وأعمارها ، وبداية الخليقة وعجائبها .

وطائفة تبحث عن الحق فى مجتمعات الحيوان والطيور والوحوش والحشرات .

وطائفة تبحث عن الحق فى البحار والجبال والمحيطات .

وطائفة تبحث عن الحق فى جسد الإنسان وما يحويه من عجائب .

وهكذا تتجه الطوائف إلى البحث الجاد المتقدم البناء الذى يخاطب الأمم جميعاً .

أما أن تكون التجمعات الإسلامية لنصرة الكتاب والسنة . . ثم ما نزال نحن نعيش بين أكداس الأحاديث الموضوعة . . والإسرائيليات المدسوسة . . ولا نقدم بحثاً جديداً عن السنة . . فهذا هو العبث . . وهذا هو ما يدعونا إلى الشك فى نوايا هذه التجمعات .

– لماذا تكرر الحديث النبوى مع اختلاف فى بعض الألفاظ ؟ .
– كيف كان الرسول يرقى المواهب بين أصحابه ؟ .
– كيف فسر الرسول القرآن ؟ .
– مصدر القوة فى عقيدة الإسلام (وهذه مازالت مجهولة للآن) .
وكل ما قيل فيها بعيد عن الصواب .

هذا وغيره عشرات من الموضوعات لم تبحث بحثاً يصلح لأن نخاطب به الأمم ، ويؤهل الإسلام بفكره وأصوله أن يغزوا العقول والأفهام فى أقطار الأرض .

دعونا من هذه الألوان الباهتة . . وهيا بنا نلون أنفسنا بفكر الإسلام ورؤيته الجديدة الصالحة لقيادة العالم كما أراد الله ، وكما أحب منا نحن المسلمين .

أما أن نتجمع فى جماعة لنصرة الكتاب والسنة ، ثم نتقاتل على مناصب تلك الجماعة . . ونكتفى برمى هذا بالكفر ، وذاك بالبدعة . . فهذا هو الضلال المبين .

والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل .

عبد القادر أحمد عطا

الحمد لله رب العالمين

س : على طريق العبادة الصحيحة فى الصلاة لابد من فهم أذكارها وقرآنها . . لأنه ليس لك من صلاتك إلا ما عقلت منها . . ونحن نردد (الحمد لله) فى أول كل ركعة من صلاتنا . . فأى المعانى يجب أن يستحضرها المصلى فى صلاته وهو يقول : الحمد لله ؟

ج : الحمد . . يعنى : المحمود لذاته . . والمحمود لنعم سبقت منه . . والمحمود لنعم ترجى منه مستقبلا . . والمحمود لخوف يكون منه حالا ومآلا .

فالحمد أمر مقطوع بوجوده ، لأن الإنسان فى الكون مغمور بنعم كثيرة . . وما دام الإنسان يستفيد من هذا العطاء ، فلابد أن يتوجه بالشكر إلى مصدره . . فالآية إذن تقطع بوجود الحمد ، ولكنها توجه الحمد لله رب العالمين .

والحمد تارة يكون للذات ، لأنها مستحقة للحمد ، أو باعتبار أنها مصدر النعم التى وجهت إلينا ، فيجب أن نتوجه إليها بالحمد . . فأشار إلى الأولى بقوله : (**الحمد لله**) وإلى الثانية بقوله : (**رب العالمين**) . والربوبية تستدعى عناية وقيومية .

وإذا كنا قد فهمنا أن الله سبحانه وتعالى قد وجد نعمه إلى الإنسان قبل أن يحمده ، فالإنسان طامع فى أن يوجه الله النعم

إليه بعد أن يحمده . . ولهذا أعلن الله أنه سيوالى الإنسان بالنعم فقال : **(الرحمن الرحيم)** .

وبعد ذلك يأتى قوله : **(مالك يوم الدين)** ليدل على أنك لم تحمده طمعاً فى إحسانه المتجدد فقط ، ولكنك تحمده لأنه مالك بالقهر ، ولأنك ستصير إليه حتما .

فإن لم تحمده رغبة فى رحمته ، فلتحمده رهبة من عذابه . . وهنا نجد أن عناصر أسباب الحمد كلها قد استوفيت .

لأن الحمد إما أن يكون للذات بوصف أنها انعمت سابقاً ، وإما أن يكون للذات بوصف أنك طامع فى أن تنعم مستقبلا ، أو بوصف أن الأمر سيؤول إليها .

* * *

لفتــة قرآنية

س : يقول الله تعالى فى سورة الحمد (رب العالمين) . . (والعالمين) جمع مذكر سالم ، وجمع المذكر السالم خاص بالعقلاء كما قال علماء النحو ، ومن العالمين ما لا يعقل ، فكيف يدخل غير العاقل مع العاقل فى جمع المذكر السالم . . ؟

ج : نعم . . إذا كان معنى العقل هو : توجيه الشىء للنافع . . فإن هذا التوجيه هو مهمة العقل الذى يمكن أن يتوجه بالشىء إلى غير النافع

أما الذى هو بطبيعته موجه إلى النافع على وجه التسخير ، ولا خيار له فى أن يتوجه إلى غير ما وجه إليه ، فإن هذا قد أخذ خلاصة العقل .

ولذلك قال الحق تبارك وتعالى عن السموات والأرض : **(قالتا أتينا طائعين)** . . فقوله : **(طائعين)** يدل على التسخير . . والتسخير معناه أنه لا خيار لها فى أن تفعل أو لا تفعل . فهى تفعل الصالح والخير بطبيعتها . . وتسخيرها معناه : أنها تدور بتسخير غيرها . . وهذا أعلا مرتبة من العقل والعلم .

فكأنها أخذت حظاً من العقل أوفر من حظى ، لأن عقلى يعنى : أن أفعل ، وقد لا أفعل ، ولأن عقلى يقارن بين بديلات ، أويرجح شيئاً على شىء ، وهى لا تقارن ولا ترجح، وإنما تصل إلى الخير من أول الأمر .

ومعنى ذلك أنها فى حكم العاقل ، وحكم أعقل العاقلين .

* * *

رب الإيجاد . . ورب القيومية

س : سمعنا من فضيلتك أن كلمة (رب العالمين) . . لا يعنى أنه رب إيجاد فقط ، ولكنه أيضاً رب قيومية . . فما معنى ذلك . . ؟

ج : لأن معنى تربية الشىء : أن تبلغ بالشىء نهاية كماله المستعد له أزلا . . وما دام أن تبلغ به نهاية كماله . . إذن فالتربية مستديمة .

فليس معنى رب العالمين كما قال الفلاسفة : أنه زاول سلطانه فى ملكه مرة واحدة ، وأنه خلق النواميس ، وخلق القوانين ، ثم ترك النواميس والقوانين تعمل عملها .

ولو كان الأمر كما قال هؤلاء الفلاسفة لما اختل شيء فى ناموس الكون ، لأنه سيسير آلياً ، ولو أنه سار سيراً آلياً لكان لمنطقهم معنى .

وهناك مدرسة لا تؤمن بإله وراء هذا الكون ، لأن العالم فى نظرها يسير سيراً رتيباً بنظام آلى ، يعنى لا توجد فوقه قوة تسيره ، ولو كانت فوقه قوة تسيره لشذ العالم الآلى فى بعض الأحيـــان .

ومدرسة أخرى لا تؤمن بالإله ، لأن العالم فيه شذوذ خارج عن النظام كما يقول أصحاب هذه المدرسة .

يعنى مدرسة تتخذ من نظام الكون دليلا على عدم وجود إله فوق القوانين

ومدرسة أخرى تتخذ من الشذوذ فى الكون دليلا على عدم وجود إله . . لأنه لو كان هناك إله لما كان هذا الشذوذ ، مما يدل على اضطراب المنهجين جميعاً .

* * *

— إذن كيف نرد على هذين المذهبين ؟

— القول بأن فى العالم شذوذاً مردود عليه . . ويكفى أن ينظر أصحاب هذا الرأى إلى النظام الكلى للكون ، ليجدوا أنه فى غاية الدقة والنظام ، ولو شذ فى النظام الكلى للكون شىء لفسد العـــالم .

وإذا أردت الشذوذ كدليل على أن هناك قوة فوق القانون تستطيع ان تخرق القانون ، فانظر إلى الشذوذ فى أفراد الأجناس ، وليس فى النظام الكلى .

لأن النظام الكلى لو فسد ، فمعنى ذلك ان الله يريد ان ينهى العالم

إذن فالنظام الكلى ثابت ، والشذوذ موجود أيضاً ، إلا انه ليس شذوذاً فى الأجناس ، ولكنه شذوذ فى الأفراد ، لأن الشذوذ فى الفرد لا يعنى إنهاء القاعدة الكلية فى الجنس . . فإذا جاء الشذوذ فى فرد من الناس ، فإن ذلك يعنى أن قانون الجنس فى بقية الأفراد سليم .

إذن فعدم وجود الشذوذ فى النظام الكونى له علة ، ووجود الشذوذ فى الأفراد له علة ، ومع ذلك فيوجد فى المعجزات التى جاءت على ايدى الرسل ما يفيد ان النظام العام شذ فى بعضه . مثل قانون الماء لموسى ، وقانون النار لإبراهيم .

فهذه المعجزات تركها الله سبحانه وتعالى فى بعض النظم العامة ليثبت ان هناك فوق الناموس قوة تستطيع أن تمزقه وتعطله .

وعلى هذا فالربوبية محتاجة إلى دوام القيومية من الله تبارك وتعالى . . ودوام القيومية هو الذى يؤديه معنى (رب العالمين) .

* * *

الحيرة الدينية عند الشـــباب

س : تثور الأسئلة كثيراً فى دنيا الشباب عن الحكمة من خلق العالم ، والحكمة فى الثواب والعقاب ، ولماذا يعذب الله الإنسان ، إلى ما شابه ذلك من الأسئلة . . فما موقف هؤلاء الحيارى من عقيدة الإسلام . . ؟

ج : نحمد الله لأن هذا الشباب لم يتشكك فى أصل العقيدة . . ولكنه يتشكك فى الحكمة . والتشكك فى الحكمة ناتج عن سؤال أعلى من العقل البشرى هو سؤال الله عن حكمة كل شىء يفعـــــله .

والمراد من المؤمن ان يؤمن بأن الله يفعله . . اما حكمة ما يفعله الله فذلك موكول إلى انه آمن بأن له حكمة ، وله قدرة ، وله كل صفات الكمال . . وهو خالق لا يحتاج إلى مخلوقاته .

فالحكمة فى الإيمان بكل هذه الأشياء : ان كل هذه الأشياء التى يسأل عنها الشباب وعن الحكمة منها صادر عن الله الذى آمنت به لأنه حكيم . . وإلا لتوقفت فى الإيمان به .

وما دام الشباب يسأل : لماذا خلق الله الإنسان ؟ ما الحكمة فى

الثواب والعقاب ؟ فكل ذلك دليل على أنه يؤمن بأن كل ذلك موجود ، فهو لا يتشكك فى وجود القضية ، ولكن الشك جاء فى الحكمة من وجود القضية .

والحكمة من وجود هذه القضايا ليس من مطلوب الإيمان ، لأن الحكمة فى كل أمر ليست عند المأمور به ، لكنها عند الآمر به .

وكذلك المؤمن ، يؤمن بقضايا كثيرة لأنها صدرت من الله ، الذى آمن بأنه لا يفعل شيئاً عبثاً ، فإن استطاع العقل بطموحاته فى الفكر ان يذهب إلى بعض الحكمة ، ولا اقول : كل الحكمة ، بل هو إيناس بالحكمة ، فمرحباً بها .

* * *

خلــق العالم

س : الله سبحانه وتعالى له صفات الكمال والغنى الذاتى . . فلماذا خلق العالم . . ؟ . . . هذا بعض ما يردده الشباب المسلم فى مقتبل عمره .

ج : إذن فالسائل يؤمن بأن العالم خلقه الله . . وتلك هى القضية الإيمانية . . والله الذى اعترفت بأنه خلق العالم لأنه قال : إنه خلق العالم حكيم . .

كان يكفى أن يعلم الشباب أن الله له حكمة فى هذا . . سواء عرف الحكمة ام لم يعرفها . . ولكننا نقوله له :

الخلق يحتاج إلى صفات متعددة . . صفة القدرة . . صفة الإرادة . . صفة العلم . . صفة الحكمة . . إذن لا يبرز شيء إلا بعد وجود إرادة . . ولا يمكن أن تبرز الإرادة مرادها إلا بوجود قدرة . . والمراد لابد ان يكون على منتهى الدقة ، ومنتهى الحكمة .

كل هذه صفات توجد فيمن يخلق الشيء .

فالذى يخلق صنعة من الصناعات لابد له من علم بدقائقها وحقائقها . . هذا العلم لا يكفى إلا إذا وجدت قدرة تبرز المعلوم ، ولا بد من إرادة حرة طليقة ، لا يمنعها شيء ، ولا معقب عليها .

إذن ما دام الله قد خلق هذا العالم ، فلابد من هذه الصفات : العلم . . والحكمة . . والقدرة . . والإرادة .

ونريد ان نسأل عن إنسان يقال إنه هاو للرسم . . بمعنى ان الرسم عنده عملية لا تتوقف عليها حياته . . فحياته لها قوامها رسم او لم يرسم . . فالهاوى هو الذى يرسم وهو غير محترف ، بمعنى ان المحترف تتوقف حياته على الرسم . اما الهاوى فلا . فالهاوى قد يرسم وقد لا يرسم . . وقد يهمل رسمه . . ويبدى ملكته فقط . . فهو يعبر عن ملكته فى الرسم فقط . . ولو وجدت الملكة ولم يجد مجالا للتعبير عنها لتعطلت هذه الملكة .

إذن فخلق الله للعالم : إبراز لمكنونات صفاته العالية الكمالية

إبراز مزاولة . . والعالم نفسه سيشهد انها فى منتهى الحكمة . . لأنها غير متضاربة ولا متعاندة . . بل هو كون متساند .

* * *

خلــق الإنســـان

س : ويجول أيضاً فى أذهان الشباب : ولماذا خلق الله الإنسان . . وما الحكمة فى خلقه . . ؟

ج : هذا سؤال عن حكمة بعض العالم . . لأن العالم كله بما فيه الإنسان قد عرفنا حكمة خلقه . . وما قلناه عن العالم كله ينسحب على الإنسان .

اما تخصيص الإنسان بالسؤال رغم انه من الممكن ان يسأل عن حكمة خلق اى مخلوق آخر غير الإنسان ، فذلك لأن السائل فهم ولو بطريق الفطرة والطبيعة ، إن لم يكن بطريق الاستقراء المنطقى ان الإنسان هو سيد هذا الكون .

فنحن نرى ان العالم يتمثل فى اجناس متعددة . . كل جنس يأخذ مهمته فى الوجود . . ويأخذ جنس آخر بصفة اعلى يأخذ مهمة اخرى . . وهكذا إلى ان نصل إلى الإنسان . . فنجده السيد فى هذا الكون .

لا اقول ذلك بمنطق الدين الذى يقول الله فيه :

(خلق لكم ما فى الأرض جميعاً)

ولكن اقول بمنطق الواقع . . فإذا نظرنا إلى الأجناس الأخرى نرى ان الحيوان دون الإنسان مباشرة ، لأن الحيوان فيه حركة وحس ، ولكن لا تفكير عنده . . ولا اختيار بين البديلات . .

ثم بعد ذلك النبات . . فيه نمو مثل الإنسان والحيوان . . ولكن لا حركة ولا حس . . ونجد فى النبات صفة لا توجد فى الجماد ، وهى النمو .

إذن فترتيب الأجناس من اعلى إلى ادنى هكذا : الإنسان ، فالحيوان ، فالنبات ، فالجماد .

وإذا نظرنا نظرة واقعية إلى مهمة كل جنس ، فإننا نجد ان الجماد يخدم النبات بكل عناصر وجوده . . ويخدم الحيوان والإنسان . . لأن الجنس الأدنى يخدم الأجناس الأعلى كلها .

والنبات يخدم الحيوان والإنسان . . ثم الحيوان يخدم الإنسان . .

ومن العجيب اننا نجد إذا ارتقينا ان الإنسان إن شاء يخدم نفسه ، فلا يوجد فى المخلوقات جنس اعلا يخدمه الإنسان . . فهو الغاية . . وعنده تقف . اما باقى الأجناس فتصب جميعاً فى خدمة الإنسان . . فيصبح الإنسان هو السيد .

إذن فقول السائل : لماذا خلق الله الإنسان ارتقاء فى الجنس من غير ان يشعر ، لأن ما يجيء بعد ذلك من الأسئلة عن العذاب وغيره لا نجدها فى الحيوان ولا فى النبات ولا فى الجماد .

إذن فالإنسان هو المهمة الأساسية فى الوجود والكون . .

فإذا وجدنا هذا بالاستقراء الوجودى من غير المتدينين ، وبعد ذلك نجده فى الدين ، إذ يقول الله تعالى :

(خلق لكم ما فى الأرض جميعاً)

فإن ذلك يكون حقيقياً وواقعاً .

وفى الحديث القدسى يقول الله تعالى : « يابن آدم ، خلقت الأشياء من اجلك ، وخلقتك من اجلى ، فلا تشتغل بما هو لك عما انت له » .

وهذا الحديث القدسى يدفعنا إلى التساؤل :

هل قوتى التى دفعت المخلوقات الأخرى لخدمتى ؟ .

انا لا استطيع ان اسيطر على الشمس او الهواء او الماء . . فهى تخدمنى بغير قدرتى . . فكان يجب ان اتنبه إلى ان هناك قوة قاهرة له ولى .

إذن : لماذا خلق الله الإنسان ؟ .

خلقه ليبين ان حكمته تعالى انه سخر الأقوى للأضعف ، فلا يسخر الإنسان الأشياء بطاقته وقدرته ، ولكنها تخرج عن طاقته وقدرته . . ونجد ان كل هذه الأشياء ليس لها حرية ولا اختيار لتخدمنى او لا تخدمنى . . ولكنها مقهورة على خدمتنا ، فلا تستطيع الشمس ولا الهواء ولا الماء ان يرفض خدمتى ، وذلك لأن حياتنا تترتب عليها .

فالحق سبحانه وتعالى جعل هذه الأشياء فى خدمتنا لتبدو قوة القهر عند الله ، والقدرة العالية فى ان يسخر الأقوى للأضعف بدون حول منه ولا قوة .

وبعد ذلك جاء لهذا الأضعف وهو الإنسان وقال له : لقد سخرت لك كل هذه الأشياء لتخدملك ، وعليك ان تطيعنى حباً لى . . فالمخلوقات الأخرى معهودة بالقدرة وبلا اختيار ، لكنى جعلت لك بعض الاختيار . . فإن شئت احببتنى وآمنت بى ، وإن شئت لا تفعل .

إذن فالله يطلب منا ان نحبه مختارين . . ونحن قادرون على ان نفعل ذلك أو لا نفعل . فهناك فرق بين الخضوع والانفعال والقهر ، وبين الحب .

فمن الممكن ان يقهر شخص غيره على اداء عمل ، ولكن بلا حب ، فهو قادر على ممارسة العمل ، ولكنه غير محبوب عنـــده .

ولذلك من الممكن ان يقهرنى إنسان على السجود له ، ولكن هل يمكنه ان يقهرنى على حبه ؟ لا . فهذا قهر للقالب ، وليس قهر للقلب .

فإذا اخترت جانب الله والإيمان به ، مع اننى قادر على الا أومن ، فهذا دليل على انى احب الله . . فيصبح خلق الإنسان المختار سيد الكون إثبات بإيماننا ان الله اهل لأن يحب ، ولأنه حكيم

ولأنه محب . . من هنا نرى الحديث القدسى يقول :

« يابن آدم ، انا لك محب ، فبحقى عليك كن لى محباً » ه

فهذه هى قمة خلق الإنسان .

* * *

الدنيا والشقاء

س : وهناك من يسأل : لماذا خلق الله الدنيا دار شقاء وتعب ، ثم بعد ذلك فناء . . ؟

ج : إنها كذلك بالنسبة لمن تجافى عن الإيمان فقط ، اما من اخذ الدنيا بالإيمان بخالق الدنيا وخالقه ، ووجود التعب والشقاء والنكد لمن لا يؤمن بالله دليل على صدق وجود الله ، وصدق منهج الله ، فنقول :

لم يجعل الله الدنيا دار شقاء ونكد ولا كد وتعب ، إنما هى كذلك لمن يبتعد عن منهج الله . . ولذلك نجد المؤمنين بالله فى غاية الرضا بكل ما قسمه الله لهم .

هذا إذا كان السائل يقصد بما سأل تعب القلب . . اما إذا اراد الكد فى الحياة ، والتعب من اجل الحياة ، فهذا امر لا يذم ، لأن المطلوب من الإنسان ان ينفعل مع الكون إن اراد ان يرتقى ، فالله خلق لنا الماء ، ولكن بدلا من ان اذهب إلى العين لأشرب بحفنتى اصنع كوباً . . وبدلا من ان اذهب إلى مجرى الماء كل

يوم لأحصل على حاجتي من الماء اصنع خزاناً عالياً ، ومواسير توصل الماء إلى البيوت مكررة معقمة ، وكل هذا ترف حياة يريده الإنسان . . ومن اجله يجب ان يتعب .

ولكن هناك كدا وتعباً من نوع آخر ، ثمرته الشقاء ، الا وهو تعب القلب وهمه . وهنا قال الله تعالى في الذكر الحكيم :

(فإما يأتينكم مني هـــدى فمن اتبع هـــداى فــلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) .

وفي آية اخرى : **(فمن تبع هداى فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى) .**

فالقول بأن الحياة قد خلقت دار شقاء وتعب صحيح بالنسبة لمن يعرض عن ذكر الله . فهذا عندما يتعرض لتعب في الحياة . . بحيث يكون هذا التعب كل نصيبه .

اما المؤمن فحينما يتعرض لذلك فإنه يؤمن بأنه ما دام الأمر خارجاً عن إرادته فله ثواب وجزاء على الصبر . . فهو خير له . . وقد يكون الأمر المحزن له فداء لأمر آخر لا طاقة له به .

فالمؤمن نجد دائماً تفسيراً لكل ما يعرض له في حياته .

ولذلك عندما يقال لنا : فلان شقي . نسأله : هل هو شقاء جسد وعضل ؟ ام أنه شقاء القلب ؟ وهذا لا يحدث للمؤمنين . اما شقاء الجسد والعضد فإن الإنسان نفسه يستفيد منه ويفيد اولاده واهله وامته . . وحينئذ يصبح العمل محبباً إليه .

ونحن نرى كل المخترعين شقوا فى دنياهم ، وانشغلوا عن ملابسهم وطعامهم وراحتهم فى سبيل ان يحققوا خدمة للبشرية كلها .

وكذلك المؤمن الذى يعتبر ان حركته فى الحياة تؤدى خدمة له ولأولاده ولأهله وجنسه والعالم ، فإنه يعمل بلا شقاء .

* * *

الجـــزية والزكاة

س : تثور الاتهامات من الجاحدين دائماً ضد تشريع الجزية على أهل الذمة . . فكيف ندافع عن شريعة الإسلام حينئذ . . ؟

ج : غير المسلمين إما اهل حرب ، وهم الذين تقع بيننا وبينهم حرب . . وإما اهل ذمة ، وهم جماعة ليست على ديننا ، ولكنهم رضوا الإقامة معنا فى ديارنا . . وهؤلاء لهم ما لنا ، وعليهم ما علينا .

والمعاهد (بفتح الهاء) يعنى غير محارب . وإنما تربطنى به معاهدة . . والمستأمن (بفتح الميم الثانية) يعنى واحد مار ببلدى ، وغير مقيم ، وليس من اهل الحرب .

والذى قد رضى ان يقيم معى يتمتع بكل امتيازات المسلم . والمسلم محتم عليه ان يدفع الزكاة . . والذمى لأنه غير ملتزم بالدين لن يدفع الزكاة .

إذن انا آخذ منه الجزية مقابل ما يدفعه المسلم من زكاة . .

لأن المسلم يدفع قدراً من ماله ليؤمن المجتمع . ونحن نقدم لك خدمات اخرى . والذي يدل على ذلك أن أهل حمص حينما لم يقدر المسلمون على حمايتهم من أعدائهم ردوا إليهم الجزية وقالوا : نحن لم نقدر أن ندافع عنكم ، فخذوا أموالكم .

إذن أخذها نظير ما أقدم لهم من خدمات . . فإذا شاخ الذمى عندى أو ضعف ، أو أصابته عاهة ، أعطيناه مثل ما نعطى المسلم وأعشناه .

* * *

فضـــل الفقـــراء على الأغنيـــاء

س : كثيراً ما يتجهم الغنى إذا رأى الفقير فى عصرنا الحاضر الذى يلهث وراء المال وكأنه إله يعبد فى الأرض ، حتى باعوا من أجله الشرف والخلق والدين . . وكأن الفقير عندهم داء يجب أن يفروا منه . . . بينما الفقير يؤدى للغنى من الخدمات ما يجعله أفضل منه وأعلا قدراً ويداً . . فهل من بيان لهذه الفكرة فى الإسلام . . ؟

ج : نعم . . الآخذ منك خير لك ممن يعطيك . . لأن الذى يأخذ منك يترك لك الآخرة . . والذى لا يأخذ منك يبقى لك الدنيا . . فما هو الذى ينفعك أكثر ؟ .

ولذلك حينما جاء رجل يسأل ويقول له : هل أنا من أهل

الدنيا أم من أهل الآخرة ؟ . قال له : مقياسك عندك . . مقياسك فى نفسك ، وليس عندى .

ثم قال : إن دخل عليك اثنان : واحد اعتاد أن يعطيك هدية ، والآخر اعتاد أن يأخذ منك ، فانظر . . فإن فرحت بالذى جاء لك بالهدية فأنت من أهل الدنيا ، وإن فرحت بالذى جاء يأخذ منك فأنت من أهل الآخرة .

والبصيرون بالأمور لا يقومون من مجالسهم إلا لمن يسألهم . . عندما يأتيه من يسأله يقوم له من مجلسه . فيقول له واحد : أتقوم من مجلسك ؟ فيرد عليه : أفلا أقوم لإنسان جاء يحمل لى زادى إلى الآخرة ؟ .

* * *

إســـلام بالألـــوان

س : بنى الأزهر ليكون معهداً للفقه الشيعى فى مصر . . ومن ثم يصدر المذهب الشيعى للعالم الإسلامى كله . . والشيعة يرددون دائماً أن هناك فرقاً بين إسلام السنة وإسلام الشيعة . حتى لقد حرفوا القرآن ، وادعو أن أهل السنة حذفوا شطراً كبيراً من القرآن . . . ونحن نريد إلقاء الضوء على هذا الموضـــوع . .

ج : الحق سبحانه وتعالى يريد إسلامنا بلا لون بشرى . . يريد إسلاماً كما نزل من عنده ، لأن الذى يفسد التدين هو أن

كل هوى يريد أن يصبغ الإسلام بلونه . . وهذا يدخل فى قوله تعالى :

(إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم فى شىء) .

إذن فالإسلام يريده الله جامعاً للناس ، وإلا فإن أهواءنا « تبهت » ألوانها على ديننا .

ولقد جاء الأزهر إلى مصر فى الأصل لكى يعطى الإسلام هذا اللون الشيعى هنا . . ولكن الله يريد للأزهر إسلاماً بلا لون . . كالماء الذى به حياتنا جميعاً . . فالماء لا لون له . . كذلك الدين يجب أن يكون كالماء لا لون له . . لا نصبغه باللون الأحمر . . أو الأصفر . . أو الأخضر . . أو غيرها من الألوان .

فالماء به الحياة فى المادة . . والإسلام به الحياة فى المعانى .

وكما أن الماء لا يكون ماء إذا أخذ أى لون . . كذلك الإسلام لا يكون إسلاماً إذا أخذ أى لون .

ولقد أريد للأزهر أن يكون لونه شيعياً . . ولكن الله أراد لحماية الإسلام الذى لا لون له .. ولذلك أخذ مذهب أهل السنة .

* * *

مصر . . والإســلام

س : بعض الأوشاب الذين لا وزن لهم من الوجهة الإنسانية ولا العلمية ، من أمم أخرى ، يتهمون مصر بأنها ليست بلداً إسلامياً . .. فهل هذا صحيح . . ؟

ج : من شرف مصر أولا : أنها حولت الإسلام الملون فيها كما أراده ناس وافدون عليها باسم الإسلام إلى إسلام غير ملون . . إسلام كما أراده الله وأنزله .

ومن شرف مصر ثانياً : أنها وإن أعوزها تطبيق الإسلام ، فإن الله عوضها بتحقيق الإسلام . . تحقيق الإسلام بصورة لا تستطيع دول أخرى أن تقول : إنها حققته ، أو إنها تستطيع أن تحققه ، كما حققته مصر بالفعل .

وحتى الذين يطبقون الإسلام — إن وجد من يطبقه — أخذوا هذا التطبيق من تحقيق مصر له . وبارك الله فى الأزهر . . وأدام الله الراعين له . . وأدام الله علماءه . . وسيبقى هكذا دائماً بإذن الله .

وعلى فرض أن مصر لم يتوافر لها تطبيق الإسلام ، فيكفيها أنها تحققه ، إلى أن يأتى إنسان له غيرة دينية فيطبقه .

* * *

تعقيب :

نعم . . نحن معك فى قولك : إن وجد من يطبق الإسلام . . لأن الذين يدعون أنهم يطبقون الإسلام يهدرونه فى قمة الدولة . . حيث يطبقون النظام الوراثى فى الحكم . . ويهدرون نظام الشورى الإسلامى فى اختيار الحاكم . . وهذه وحدها تكفى . .

* * *

السياسة والديـــن

س : سأل الأستاذ عبد الوهاب مرسى المحرر بأخبار اليوم المصرية الأستاذ الشعراوى قائلا :

هناك نظريتان : نظرية تقول : إنه لا سياسة فى الدين ، ولا دين فى السياسة . . ونظرية ثانية تقول : بل يجب أن تلتزم السياسة بالدين . . فما رأى فضيلتكم . . ؟ ونشر إجابته فى أخبار اليوم بتاريخ ١٨ / ١٠ / ١٩٨٠ م .

جـ : مسألة الدين فى السياسة . . والسياسة فى الدين مختلطة فى الأذهان اختلاطاً أبعدها من أن تستقر بين الناس بالصورة التى يجب أن تكون عليها .

وهذه المسألة لم ترق أولا إلى درجة أن تكون نظرية . . وإنما هى مجرد عبارة قيلت فى مناسبة من المناسبات . . لترد وضعاً من الأوضاع إلى نصابه من وجهه نظر معينة .

والأصل فى هذه العبارة : أن السياسة التى تسير نظام الدولة ليست فى أصلها دينية ، ولم يلحظ أن تكون دينية . . فمن أراد أن يدخل الدين فى سياسة هى فى الأصل مبنية على عزل الدين عن حركة الحياة نقول له : لا .

لأنه فى هذه الحالة يريد أن يلزمنا به أصلا . . كما أنه يريد أن يغير دستور البلاد الذى لم ينص على أن الدولة محكومة بحكم الإسلام . . بل هى محكومة بسياسة وضعية بشرية .

ولقد كانت هذه الكلمة واردة فى الدساتير القديمة فى مصر . . ومع ذلك كان هناك بغاء وكان هناك ترخيص بالخمر . . وترخيص للمخنثين . . كما كنا نراه فى الماضى . . ولكن وضع الكلمة فى الدستور كان هدفه أن تدخل مصر فى جغرافية العالم الإسلامى .

ولهذا أقول : إن الأمة إسلامية ، ولكن الدولة ليست كذلك . . وهناك فرق كبير بين الاثنتين .

ومعنى أن الأمة إسلامية أن الإنسان ما دامت له ولاية على نفسه فإنه ينفذ الإسلام . . كأن يردد الشهادتين ، ويصلى ، ويصوم ، ويزكى ، ويحج بيت الله . أى إنه ينفذ أركان الإسلام الخمسة دون أن يمنعه أحد من ذلك ، وهذا هو المقصود من أن الأمة إسلامية .

أما عندما تدخل الولاية فى مسائل أخرى فلا تجد الإسلام فى الدولة أو فى القوانين .

وأما كلمة « لا سياسة فى الدين ولا دين فى السياسة » . . فيجب أن تفهم على أنها لغير الإسلام لأنه فى غير الإسلام إذا التمست نظاماً ما يحكم حركة الحياة فلا تجده . . أما الإسلام فقد جاء وفى صلبه أنه يحكم حركة الحياة كلها ، بدءا من قمة لا إله إلا الله ، إلى إماطة الأذى عن الطريق ، أى إن هناك سياسة فى الدين .

والدليل على صحة هذا القول أننا أعلنا أننا نقوم بتعديل النظم لتلتقى بالإسلام . . إذن يكون هذا دليلا على أن هناك سياسة فى الدين.

* * *

الأقليــة والأغلبيــة

س : نسمع بين الحين والحين أصواتاً من الأقليات تشكو من الأغلبية وإن لم يقع عليها ظلم منها ، وفى الوقت نفسه نسمع شكوى الأغلبية فى صورة تجمعات علنية لها مطالب . . . فما هى أبعاد هذه المشكلة وعلاجــها . . ؟

جـ : إن تطبيق الشريعة الإسلامية ، وجعلها هى المنظم لحركة الحياة كما أرادها الله سبحانه وتعالى ، من شأنه القضاء على المشاكل التى نعانى منها فى حياتنا من وقت لآخر . . وتبدو متفاقمة وبلا حــل . .

يستوى فى ذلك ما اصطلحنا على تسمية بالفتنة الطائفية من ناحية . . والجماعات الإسلامية من ناحية أخرى . .

ونحن إذا أردنا أن نبحث أسباب الفتنة الطائفية فيجب أن نجعل السبب الرئيسى فى حدوثها هو عدم تمكين الإسلام من أن يحكم . . أو عدم توظيف الإسلام . .

ولو أن الإسلام وظف ، لما وجدت أى أقلية باباً من أبواب الشكوى ، لأن الإسلام حضانته حضانة حنون ، لأن الذى أنزله من غير أن يلونه البشر هو رب الجميع . . وقد ضمن للجميع فى الشمس ضوءاً وحرارة ، كما ضمن لهم جميعاً فى الماء رزقاً ، وضمن لهم جميعاً فى عناصر الأرض أن تعطى لمن يتفاعل معها ، مؤمناً كان أو كافراً .

كذلك كان الإسلام . . حضانته حضانة حنون . . وما دام هو كذلك ، فإنه عندما يأتى أى مجتمع ويبتعد عن هذه الحضانة ، فلابد أن يشقى المجتمع .

إذا . . فما وجد من هذه الفتنة دليل على أن الإسلام يجب أن يوظف . وإن لم يوظفوه فإننا سنبقى على هذا الحال .

وعندما يوظف الإسلام ، وتكون الولاية ولاية إيمانية ، والرقابة رقابة إيمانية ، والحركة حركة إيمانية ، تجد غير المسلم لا يشعر أنه ينقصه شىء . . فكل ما يشعر به غير المسلم من ضيق مرجعه إلى أنه فى أغلبية مسلمة .

ولكن ماذا عن ضيق الأغلبية ؟ لماذا تشكو هى الأخرى ؟ ومن أين جاءت المتاعب للأغلبية ؟ وماذا تقول الأغلبية فى تبرير متاعبها ؟

المهم أن كلا من الأغلبية والأقلية تشكو .

إذن فلا بد أن يكون هناك سبب واحد مشترك لتعب الجانبين ، وشكوى الجانبين .

هذا السبب هو أنهم جميعاً لا يعيشون فى حضن الإسلام . . لا الأقلية ولا الأغلبية . . ولهذا فالتعب عند الاثنين . . وكل منهما يتحمل من المتاعب ما يتناسب مع حجمه .

ولهذا فالأغلبية تتحمل أغلب المتاعب . . والأقلية تتحمل أقل المتاعب .

بقيت نقطة من دواعى الشكوى عند الأغلبية . لقد أصبح معلوماً أنها دواع شخصية تريد استشرافاً إلى شىء أعلى .

وإذا نحن أبعدنا الدين عن الموضوع كله ، وافترضنا أن أمة من الأمم فيها أغلبية ارتضت قانوناً من وضع البشر وحكمته كأغلبية ، فماذا يكون موقف الأقلية ؟

عليها أن تحترم رأى الأغلبية فى كل تشريع . . ونفس الشىء أقوله عن الجماعات الإسلامية . . فوجود هذه الجماعات فى دولة إسلامية يعد سبة .

ولو أن الإسلام كان مسيطراً ، وله ولاية إيمانية ، لما وجدت هذه الجماعات ، ولما وجدت ما تحتج به من وجود شارع الهرم ، أو إباحة الخمر ، أو القمار ، أو غير ذلك مما حرم الله .

* * *

المناسبات الدينيــة

س : درج المسلمون على الاحتفال بالمواسم الإسلامية . . كمولد النبى صلى الله عليه وسلم ، وعيد الهجرة النبوية . . ويوم عاشوراء . . إلى غير ذلك من المواسم . . وهذا الاحتفال قد يكون تذكيرا للناس ، ولكنه ربما كان من عوامل الإحباط . . فما رأيكم فى هذا الموضــوع . . ؟

ج : إن لى رأياً فى احتفالات المسلمين بالمواسم الإسلامية . .
يجب أن يعرفه الناس بعمقه المقصود . . لا بظاهريته
« التهكمية » .

فنحن نجل الإسلام أن يكون إحياؤه محل مناسبة . . أو مرهوناً بمناسبة . . لأنه جاء ليحياه الناس فى كل وقت . . وليس المهم أن نحى مناسبات الإسلام ، ولكن المهم أن نحيا نحن مناسبات الإسلام .

فلن يفرح الإسلام ، ولن تبقيه تلك الصحوات الموقوتة ، أو الهبات التى يوحى بها يوم يؤرخ لحادثة . . فالإسلام فى كل لحظة من لحظاته حدث يجب أن نلتفت إليه حتى تستديم علاقاتنا بمن شرع الإسلام . . ونستديم حياتنا فى كل حركة منها على توجيهات الإسلام .

وإذا نظرنا إلى الحفاوات التى استقبلت مناسبات الإسلام فى كل دولة وفى كل أمة وربما فى كل مسجد وفى كل بيت ، لوجدنا أنها حفاوات العاشق ، وتحيات المحب ، ولكن قصر كل ذلك على وقت الحدث حين يذكر ، وعلى المناسبة حين تحيا ، ثم نستأنف حياتنا بعيداً عن كل ما فرحنا به ، غير متأثرين بالذكرى حتى إلى حين ، وكل ما تعطيه حفاوتنا بالمناسبة هو علم بها ، فتلك هى شهوة العقل بالمعرفة .

والأزمة فى عالم الإسلام ليست **أزمة** علم ، ولكنها **أزمة** كل حمل الناس نفوسهم على مطلوب هذا العلم .

* * *

قـــرن مضى . . وقـــرن أطـــل

س : المسلمون الذين يعيشون الآن سواء كانوا رعايا أم حكاماً ، عاشوا مخضرمين بين القرن الرابع عشر والخامس عشر الهجريين .. وقد اختتم القرن الرابع عشر بثورة داخل الحرم المكى الشريف . . وبصدام عنيف بين أمم الإسلام فى كل مكان . . فهل تستطيع أن تقول إن المسلمين قد حققوا شيئاً ما للإسلام فى القرن الماضى . . ؟

ج : إن الذى حدث فى القرن الفائت الذى نودعه بأسف هو : أن الإسلام لم يفد منه شيئاً . . اللهم إلا فيما ولاية الناس فيه على نفوسهم . . وذلك قدر نحترمه . . ولكننا نستزيد منه . .

وأحب أن يعرف من يملكون تسيير حركة الحياة على ما يحبون من مبادئ رغباً أو رهباً أنهم مسئولون أمام الله ، لأنهم يستطيعون أن يسيروا حركة الناس أيضاً على مرادات الله .

ولو أنهم عجزوا عن تسيير حركة الناس على مراداتهم لعذرناهم . . ولكنهم قادرون على حسب ما نعرف ، وقاهرون على حسب ما نعرف أيضاً .

فليعملوا على أن يكونوا قاهرين على ما علموا عن الله . . وإلا فقد اتهموا أنفسهم بأن غيرتهم على إيمانهم بالله أقل من غيرتهم على مراداتهم .

ولو ودعنا العام الماضى بهذا الأسف . . وشيعناه بهذا الندم . . إذن لعرفنا أن ذلك سيكون بداية الإفاقة . . لأن الإقرار بالمرض أول معين للطبيب على وسيلة العافية . . أما إن كابروا وظنوا أنهم قد أحسنو صنعاً فيما مضى ، فلن يفيدوا من القرن الجديد شيئاً ، لأن الزمن لا يعطى إلا لمن تحرك فيه على قدر مراد الحركة منه . والله سبحانه وتعالى يقول فى كتابه الكريم :

(إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيرو ما بأنفسهم) .

* * *

نحـــو العالميـــة

س : إذا حاولنا أن نجتاز نطاق العالم الإسلامى إلى النطاق العالمى كله ، بما فيه من أجناس مختلفة ، وميول متباينة ، ودماء مختلطة ، فهل نستطيع أن نقول : إن الإسلام يعتبر حلا جذرياً لمشكلاته . . ؟

جـ : هل نستطيع أن نأمل أن العالم الذى جرب كل هوى من أهواء البشر على تضارب الأهواء فيه ، شرقاً شيوعياً ، أو غرباً رأسمالياً ، أو تابعين لهؤلاء وهؤلاء ، أو مذبذبين

بين هؤلاء وهؤلاء ، هل نستطيع لمن سوابقه تشهد بهذا أن يستفيق ، وأن يعرف أن ذلك ناشيء من صراع تضارب الأهواء ، ومحاولة كل هوى أن يسيطر ؟

ولا حل لمثل هذا إلا أن نصدر جميعاً عن هوى واحد ليس من بين البشر ، لنحقق المعنى الذى قصده الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم فى قوله : « لن يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » .

وكلمة « يؤمن » كما تعطى الإيمان بالله ، تعطى أن يأمن على حياته ، بحيث لا تضطرب ، على معنى قوله تعالى :

﴿ وآمنهم من خــوف ﴾ . .

وإذا كان العالم كله ، ولا أقول العالم الإسلامى فحسب ، قد أعجبه ما هو عليه الآن من صراعات الأهواء ، وتطاحن المبادئ ، وتشنجات السيطرة ، فليستمر على ما كان عليه ، وليطل أمد التجربة على نفسه ، وذلك لن يضر الله شيئاً .

وإذا كان الناس يظنون أن كل ذى قوة يعيش فقط ليحرس عمر نفسه ، ثم يترك ما خلف ليشقى الناس به ، فيجب أن يعيد النظر فى إيمانه إن كان مؤمناً ، وفى إلحاده إن كان ملحداً ، لأن ذلك لن يدوم له ، وسيلقى ما لقيه من سبقه .

ويجب أن يتأكدوا جميعاً — وأقصد المستفيدين من انحراف

الأرض عن منهج السماء – أن ما يحبونه ، وما يحرصون عليه ، وما يحرسونه لنفوسهم من جاه ، لو دام لغيرهم حتى فى الدنيا ما وصل إليهم .

وإذا كان – ولا أقول العالم كله ، بل أقصد المسلمين لأنهم أقرب استمالة إلى الله – إذا كانوا قد جربوا مناهج البشر فشقوا فيها هذا الشقاء ، فلماذا لا يجعلون منهج الله تجربة أخرى تأخذ حظاً من العمر . . فإن ثبت نجاحها استمروا فيها ، وإن لم يثبت – ولا أتوهم ذلك – فهم معذورون فى أن يرجعوا ثانياً إلى لغط أهوائهم ، وجنون تبعياتهم ، وحينئذ لن يرتفع صوت من جديد ليقول : جربوا دين الله .

* *

توحيد الهوى البشرى

س : إذا كان الدين يحث على العلم ، وعلى تنشيط الحركة الفكرية إلى أقصى جهد مستطاع ، حتى يثبت الإنسان جدارته بالخلافة على الأرض . . أفلا تكون محاولة العالم توحيد الهوى البشرى على نظام واحد يتناسب معها كلها ضرباً من النجاح يستحق التقدير ؟ لا سيما وأن هناك من المؤسسات ما أسس بالفعل لهذا الهدف ، مثل مجلس الأمن ، وهيئة الأمم المتحدة ، بعد فشل تجربة عصبة الأمم . . ؟

ج : إذا تجاوزنا منطقة الدين فلنقل للعالم كله : هل أعجبكم ما فى الحياة الآن ؟ على فرض أنها الغاية من الكون ؟ وأن الناس قد غرهم حلم الله عليهم ، واستبطأوا آخرة الجزاء منه ، هل أعجبهم حالهم اليوم ؟ .

فلينظروا فيه نظرة مجردة عن منهج السماء ، ليبحثوا علة هذا ، فلن يجدوا إلا تضارب نظم واختلاف أهواء الحاكمين .

والشعوب المؤمنة المسلمة فيما تملك من ولايتها على نفسها مظلومة فى كل ذلك .

ولعل الله أراد أن يريح الشعوب من هذا الظلم . فجعل الصراع بين الحاكمين فى هذه الأمم ، ليستفيقوا جميعاً ، وليعلموا أن هوى بشرياً لا يمكن أن يعايش سلمياً هو بشرياً آخر ، لأن الأهواء مزاج الملكات النفسية كلها .

فإن أرادوا أن يريحوا حياتهم ، فليتفقوا على هوى واحد ، وإن كان من هوى البشر . . وحينئذ سيجدون أنه لن يسعهم أى هوى بشرى من عنت الجهل ، وقد أثبتت التجارب أن يوم أن يقنن الجهل يفضحه التطبيق .

ولن يجدوا بعد ذلك منفذا إلا أن يرجع الجميع إلى هوى واحد ، هو حضانة الله ، وهدى السماء .

ومن العجيب أن أمم الإسلام التزمت أن تستورد نظماً فشلت

فى مواقعها ، ولم تستفد بالفشل لتحكم على فساد صلاحيتها ، ولكنها سارت فيما سار فيه المجربون ابتداء دون انتباه إلى نهاية ما جربوا ، وحصيلة ما طبقوا .

هل يدعى أحد أن الشريعة الشيوعية ظلت كما بدأت ، أم رجعت فى الوقت الذى كانت تبشر فيه بأنها سترتقى ؟

ورجعت إلى ماذا ؟

رجعت إلى ما كانت تحارب ألا يكون .

والرأسمالية الغربية ، هل بقيت على شراستها الأولى ، أم أنها رجعت إلى ما كانت تحب ألا يكون ؟ .

إن رجوع الأولى ورجوع الثانية يتطلب منا أن نبحث المرجوع إليه ، « إنه محاولة التقاء الأعداء » . والتقاء الأعداء من طريقين متناقضين لا يعنى إلا وسطا يسفه رأى الأولى ويسفه رأى الثانية .

ولا شيء يفسر ذلك إلا وسط يأخذ خير الأمرين ، ويخلص من شرهما ، وذلك هو الإسلام .

* * *

التكليف وحمق الاختيار

س : إذا كان الإنسان مختاراً فى أفعاله ، فلماذا كان مكلفاً بالأمر وبالنهى . . ؟

ج : إن الله تعالى هو خالق الإنسان ، وخالق الكون الذى يعيش فيه . . وباستقراء الكون كله بما فيه الإنسان ، نجد أن الإنسان هو السيد المخدوم من كل أجناس الكون ، من أقربها إليه وهو الحيوان ، ومن أبعدها منه وهو الجماد .

ومن رحمة الله بذلك الإنسان أن جعل كل ما يخدمه فى هذا الكون لا اختيار له فى تلك الخدمة ، وأظن أن هذا ضمان أكيد بأن كل خادم فى هذا الكون لن يتمرد على خدمته لذلك الإنسان .

ومن العجيب أن الإنسان هو الذى انقسمت عنده قضية الطاعة للخالق . . فمثلا يقول الحق سبحانه وتعالى :

(ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب)

الطاعة عند الإنسان فقط انقسمت إلى كثير يسجد ، وكثير أيضاً يتمرد . . ولذلك لا نجد قبحاً فى الوجود إلا فيما للإنسان فيه خيار ، لأنه يختار بما طبعه الله عليه من القدرة على الاختيار . . ولكنه لا يلتزم بمنهج من أعطاه هذا الاختيار . . ومن هنا ينشأ القبح فى الوجود .

فلو أنه اختار بين البديلات على منهج من أعطاه هذا الحق فى الاختيار لرأينا جمال الوجود كله بما فيه دخل للإنسان .

إذن فالتكليفات من الله إنما هى صيانة للإنسان من حمق اختياره ، وإفساده للترجيح بجمال طارئ ، أو شهوة عاجلة .

إذن فالمنهج الذى وصفه الله للإنسان فى (افعل ولا تفعل) إنما جاء ليخرج الإنسان من سطحية الاختيار إلى عمق العلم فى كلمة من قال هذا الاختبار .

* * *

قضية الاجتهاد

س : فى هذا العصر ثارت قضية الاجتهاد . . ودعا بعضهم إلى فتح بابه . . ودعا البعض الآخر إلى إبقائه مغلقاً . . والبعض الثالث دعا إلى الاجتهاد فى مواضيع قد أجمع المسلمون عليها ، بغية تغيير أحكامها ، استجابة لدواعى العصر ، كالمعاملات المصرفية وأشباهها . . ويقف الشباب فى حيرة من أمره فى هذا الموضوع الخطير . . فما هو الرأى الحاسم فيه . . ؟

ج : ما دام هدف منهج السماء هو المحافظة على جمال الوجود من أن تتصادم الحركة فيه ، فلابد أن يكون فى المنهج (افعل ولا تفعل) . وما لم يرد فيه (افعل ولا تفعل) فهو داخل فى نطاق الإباحة ، والداخل فى نطاق

الإباحة لا ينشأ عنه فساد أياً كان فعل هذا المباح ، لأنه لو نشأ عنه الفساد لما ظل فى منطقة الإباحة . . بل لابد أن ينقل إلى منطقة (افعل ولا تفعل) .

ومنطقة افعل ولا تفعل هذه يرد الأمر فيها على لونين :

الأول : نص محكم ، لا يحتمل أن يخرج ما فى نطاق افعل إلى لا تفعل ، ولا تفعل إلى افعل ، ولا مجال للاجتهاد فيه أبداً . . لأنه بحكم النص الصريح فيه يجب أن يلتزم ، وإلا فسد الكون .

الثانى : يرد أيضاً فى نطاق افعل ولا تفعل . . ولكن النص عليه ليس صريحاً ، بل هو نص محتمل لإعمال العقل فيه . .

وما دام الأمر كذلك فأى اجتهاد فى فهم النص ما دامت شروط الاجتهاد موفورة لا يؤدى إلى فساد فى الكون أيضاً .

فاستنباط الحكم من المجتهد المستوفى للشروط يحقق شرعية الفعل ، ولكنه يمنع من أن يحكم المجتهد بأنه هو الحق . وما سواه باطل . . بل هو حق يحتمل البطلان . . ومقابله فى نظره باطل ، ولكنه يحتمل الحق .

وقد احترم التشريع كلا من الوجهتين احتراماً يكون حجة لمن تمسك برأى أى مجتهد .

* * *

— نريد أمثلة يفهم منها الناس هذا البيـــان المفيـــد .

— نعم . . الرسول صلى الله عليه وسلم ضرب لنا فى حياته المثل على ذلك . . فبعد انتهاء غزوة الأحزاب أراد المسلمون أن يفرغوا للراحة . . ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم بما أوحى إليه شاء ألا يرتاح من جهاد الأحزاب . . فقال قولته المشهورة :

« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يصلين العصر إلا فى بنى قريظة » .

وعند ذهاب صحابته إلى بنى قريظة وهم فى الطريق راى فريق منهم أن وقت العصر سينتهى قبل أن يصلوا إلى بنى قريظة ، فنادى بالصلاة .

وقال الفريق الآخر : إن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : **« لا يصلين العصر إلا فى بنى قريظة »** . فلا تجوز صلاة العصر إلا هناك . .

إذن ففريق رأى أن الأساس هو الزمن . . وفريق مقابل رأى أن الأساس هو المكان . . والزمان والمكان كلاهما ظرف للأحداث ؟

فلما ذهبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقصوا عليه الأمر ، صوب فعل هؤلاء ، وصوب فعل هؤلاء . . لأن ملحظ الاجتهاد فى النص هو أن الفريق الذى صلى قبل أن يخرج الوقت رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك استعجالا لهم . . أى

أن يصلوا إلى بني قريظة قبل أن يفوت وقت العصر . . والفريق الآخر نظر إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم رأى أن تكون صلاة العصر فى بنى قريظة . .

وإقرار الرسول صلى الله عليه وسلم للاجتهادين يعتبر إذناً من المشرع بأن النص إذا احتمل الاجتهاد فيه فكل رأى يخرج به مجتهد مستوف لشروط الاجتهاد يعتبر مجزياً ، ولا يخرج من الالتزام .

ومثال آخـــر : إذا نظرنا إلى القرآن الكريم فى تشريع الوضوء فى الآية الكريمة :

(يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين) .

لقد أطلق المشرع الوجوه ولم يحددها ، لأن الوجه لا اختلاف على تحديده فى اللغة . . ولكنه حين قال : **(وأيديكم)** . . لم يطلقها إطلاق الوجه . . وإنما حددها تحديداً وهو **(إلى المرافق)** ليخرج الكف واليد كلها إلى الكتف . . لأنه أرادها على كيفية خاصة . . واليد تحتمل فى اللغة هذه المعانى الثلاثة .

إذن فحين يريد المشرع تحديد الحكم لا يترك فيه مجالا للاجتهاد . . بدليل أنه قال بعد ذلك :**(وامسحوا برءوسكم)** . .

ولو أراد الحكم بمسح الرأس كلها لقال : امسحوا رءوسكم . . ولو كان البعض لقال : امسحوا بعض رءوسكم . ولو كان الربع لقال : امسحوا ربع رءوسكم . . وهكذا .

فالله سبحانه وتعالى لا يعوزه أى أسلوب لتحديد المراد . ولكنه جاء بالباء ، وهى فى إطلاقاتها اللغوية تأتى للاستعانة ، والبعضية . والمسح لابد أن يكون باليد ، وعلى الأقل لابد أن يكون على قدرها .

إذن فاختلاف العلماء فى المرادات أمر مراد من المشرع . . وأى مجتهد يصل إلى واحدة مما تحتمله الباء لم يكن خارجاً عن النص .

على كل ما سبق يجب أن يبنى أساس الاجتهاد فى العصر الحاضر . . بأن يمنع الاجتهاد فيما فيه نص صريح بدعوى أن حاجة العصر لا تطيق تطبيق حكم النص . . لأننا بذلك نجعل حكم العصر هو المشرع . . والتشريع لم يجئ لموافقة حال العصر ، ولكنه جاء ليرتفع بحاجات العصر بحكم المصلحة فوق ما يحققه الراغبون فى إنزال النص إلى مستوى حكم العصر .

* * *

ــ ولكن قضية الاجتهاد فى عصرنا قضية سامها كل مفلس . . حتى أصبح المسلم بشهادة الميلاد يبدى رأيه فى المسائل الاجتهادية وهو يردد : الدين يسر . . . تحقيق المصلحة . . . لا ضرر ولا ضرار . . من غير أن يعرف مدلولا لهذه الكلمات . .

- النص الذى ليس صريحاً فى حكم لا مانع من أن نجتهد فيه اجتهادا يحققه . . وهو ما نص عليه القرآن الكريم فى قوله تعالى :

(ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) . .

أما أن يصبح الأمر فى الاستنباط مشاعاً لكل من يقدر على الكلام فهذا خروج عن الفتوى حين يطلب أهلها .

فنحن لا نستفتى كل الناس فى أمر طبى . . ولا كل الناس فى أمر هندسى . . ولا كل الناس فى أمر قانونى . . ولكننا نستفتى أهل الذكر الذين حددهم الله تعالى فى قوله :

(فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون)

* * *

- ولكننا كثيراً ما نسمع أن الدين مشاع للجميع ، وليس خاصاً بطائفة دون أخـــرى .

- نقول لهؤلاء : هذا خلط فى الفهم . . لأن الدين للجميع كتدين ، ولكنه ليس للجميع كعلم للدين فلا تخلطوا بين الأمرين:

وإلا فإننا نجد المتخصصين فى علم الدين يحالون إلى التقاعد ،

وقد يخرجون من الحياة ، ولا يزال عندهم من الدين مجاهل كثيرة .

وقديماً كانوا يخصصون أهل العلم . . فهذا يستفتى فى القراءات وذاك فى الفرائض . . وثالث فى الأحكام . . وهكذا فإن علم الدين شىء ، والتدين المطلوب من كل مسلم شىء آخر .

فالمتدين يكفيه أن يعلم ما يطلب منه فى حياته من عبادات ومعاملات عامة . . فإذا جد له شىء فوق ذلك فليأتى أهل الذكر . أهل العلم .

* * *

— وماذا نفعل فى القضايا التى جدت على الحياة ، ولم يكن لها نظير فى زمن السلف . . ؟

— القضايا التى جدت فى هذا العصر يجب أن نخرجها من حيز الاجتهاد إن كان فيها نص صريح وأن نحترم آراء المختلفين إذا كان النص محتملا . . أو كانت وجهه النظر مؤيدة بالدليل المقبول المعقول . . والأخذ بأى إجتهاد فيها لا يشكل فساداً . . اللهم إلا أن يتعصب كل مجتهد لرأيه على أنه الحق ، وما عداه باطل . . وبذلك يكون قد خرج عن دائرة الاجتهاد فى أن ما وصل إليه المجتهد حق يحتمل الباطل ، وما وصل إليه غيره باطل يحتمل الحق .

* * *

— وهل ترون العصر مناسباً للاجتهاد الفردى . . ؟

— لا . . لم يعد العصر مجالا لاجتهاد فردى . . لأن مصالح الدنيا قد اقتربت ، والالتقاء بين العلماء جميعاً أصبح ميسوراً وسهلا . . فمن الخير فى مسائل العصر أن يلتقى فيها المجتهدون ليخرجوا برأى يعيد الثقة فى صلاحية الدين لكل زمان ولكل مكان . . وليقطعوا السبيل على الذين لا يريدون أن يلتزموا بمنهج الله . . فيجدوا فى هذه الخلافات ثغرات يتعللون بها على أن علماء الإسلام لم يلتقوا على رأى . . ولم يتوحدوا أمام حكم .

* * *

— نريد زيادة بيان عن موقف خصوم الإسلام فى هذا العصر من هذه القضية . .

— لخصوم الإسلام شبهات متصيدة لا يريدون فيها تنقية الإسلام من هذه الشبه ، ولكنهم يريدون حيثيات تبرر انصرافهم عن الإسلام . . ونحن نقول لهؤلاء :

فليسعنا فى تحكيم الإسلام ما اتفق عليه » ولندع ما اختلفنا فيه من الفروع محلا للاجتهاد . ، أو لحكم الاجتهاد .

والأمر الذى تركه الله تعالى محلا للاجتهاد إذن منه تعالى بأن كل ما يذهب إليه مجتهد لن يضر حركة الحياة . . لأنه لو كان

ضاراً بحركة الحياة لنص الله على الحكم فيه نصاً صريحاً لا يحتمل الاجتهاد . . أما ما ترك محتملا فذلك دليل على أن الحياة تصلح بأى حكم فيه . .

ولكن المحكومين به لا يجب أن يرتفعوا فيما اختلف فيه اختلافاً مسموحاً به إلى الدرجة التى تجعل أتباع مجتهد يكفرون أتباع مجتهد آخر ، أو يتعصبون بمعنى أن الإسلام محصور فى هذا الفهم ، ولا يتحقق بغيره .

إذن فترك النص غير محكم هو إذن بالاجتهاد فيه . . ولا يتهم مجتهد من أتباع مجتهد آخر . . ولكن يجب كما قلت فى أكثر من مناسبة ألا يكون الإسلام ملوناً بألوان المجتهدين . . ليبقى الإسلام حياة قيم بلا لون إلا أنه الإسلام كالماء الذى به قوام الحياة . . فإنه إذا أخذلونا فقد خرج من مائيته وأصبح شراباً ينسب إلى اللون الغالب فيه . وربما زهده من لا يحب ذلك اللون . . ولكن أرونى من زهد فى الماء . . ؟

* * *

أحكام الدين . . وأسرار الوجود

س : أحكام الدين هى دستور الحياة على مراد الله تعالى . . وفى ظلها يعيش العالم فى كنف الحب والوئام . . وأسرار الوجود هى وجدان العقيدة . . والحافز الأول لليقين . .

فما هو موقف القرآن الكريم وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم من كل منهما . . ؟

ج : بين الرسول صلى الله عليه وسلم للناس أحكام التكاليف في القرآن ، وهى « افعل ولا تفعل » . . تلك الأحكام التى يثاب المرء إن فعلها ، ويعاقب إن تركها . . إنها أسس عبـادة الله سبحانه وتعالى التى أنزلها فى القـرآن كمنهج حياة لمن يريد الحياة الطيبة فى الأرض . . ومنهج بلا هوى شخصى ، لأن الله سبحانه وتعالى لا هوى له . . فهو غنى عن العالمين . .

أما كل ما يتعلق بالكون فقد اكتفى الرسول صلى الله عليه وسلم بما علم هو نفسه منها . . واكتفى بأن علم من وجد عنده استشرافاً للفهم ، ولكنه لم يشع ذلك ولم يعممه .

* * *

ـ إذن فالذين يقولون : إن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يترك شيئاً من علوم الإسلام إلا بلغه للناس جميعاً كلام مجانب للصواب . .

ـ نعم . إنه لم يترك شيئاً من التكليف إلا بلغه . أما أسرار الوجود فإنه بالمقياس العقلى كانت توجد عقول كثيرة لا تتقبل فهمها .

ولا تستطيع أن تعقله . . بل كان مجرد طرح مثل هذه الموضوعات لا يفيد قضية الدين .

والقرآن لم يأت ليعمم أسرار الوجود ، ولكنه جاء بأحكام التكليف واضحة ، وبأسرار الوجود مكتنزة . . وذلك حتى يكشف الله أسرار الوجود لأولئك الذين يجتهدون بعقولهم للوصول إلى أسرار الكون . .

حينئذ يكون عطاء القرآن متساوياً مع فهم العقول . . ويمر الزمن ، ويزداد التقدم البشرى ، ويتيح الله لعباده آيات من آياته فى الأرض ، ويكون عطاء القرآن متساوياً مع قدرة العقول . .

وذلك أن القرآن له عطاء متجدد فى كل عصر . . وإلا فلو أعطى كل ما عنده وقت النزول لجمد بعد ذلك ، ولم يكن له عطاء . . ولكن القرآن معجزة حتى تقوم الساعة . . ومن هنا فإنه يحمل عطاء لكل جيل يختلف عن العطاء الذى أعطاه للجيل الذى قبله . . وهكذا .

ونحن مثلا لا نجد صحابياً من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل عن شيء غير التكليف . . فلم يسأله أحد عن (الم) ولا عن (حم) مع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستقبل ناساً كثيرين يؤمنون بكتاب الله . . وأناساً كثيرين يكفرون بما أنزل

الله .. وكان هؤلاء الكفار يريدون أن يقيموا الحجة ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم وضد القرآن . .

* * *

الكفار وسماع القرآن

س : كان الكفار فى عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم حريصين على عدم سماع القرآن . . وعلى منع الناس من سماعه . . وعلى ضرب من جهر به فى المجالس . . وطرد من جهر به فى الصلاة . . مع أن القرآن كان مشهوراً بينهم باعتباره معجزة التحدى الموجهة إليهم . . . فلماذا ؟ . .

ج : القرآن فيه من عطاء الله ما تحبه النفس البشرية ، وما يستميلها ، لأنه يخاطب ملكات خفية فى النفس لا نعرفها نحن . . ولكن يعرفها الله سبحانه وتعالى . . وهذه الملكات تنفعل حينما يقرأ القرآن . . ولذلك كان حرص الكفار على ألا يسمع أحد هذا القرآن ، حتى الذين لا يؤمنون بالله .

وذلك أن كل من يسمع القرآن سيجد له تأثيراً وحلاوة قد لا يستطيع أن يفسرها .. ولكنها تجذبه إلى الإيمان .

ومن هنا كان أئمة الكفر يخافون من سماع الكفار للقرآن أن يميلوا إليه . . ولو كان القرآن لا يعطى شيئاً من هذا ، ولا يخاطب

الملكات الخفية فى النفس ، لما اهتم الكفار بأن يسمع أحد القرآن أو لا يسمعه .

ولكن شعورهم بالقوة والقدرة القرآنية على النفس البشرية جعلهم لا يمنعون إسماع القرآن فقط ، ويعتدون على من يتلوه فى الأماكن العامة ، بل قالوا :

(لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون)

ومعنى (الغوا فيه) : شوشروا عليه . . ولا يمكن أن يكون هذا هو مسلكهم ، وتلك هى طريقتهم ، إلا خوفاً مما يفعله القرآن الكريم فى النفس البشرية . . وكيف يستطيع أن يؤثر فيها . . وأن يجذب النفس الكافرة أو غير المؤمنة إلى حظيرة الإيمان .

وتلك من معجزات القرآن الكريم التى يتميز بها عن أى كتاب فى هذا العالم . .

* * *

والرسول نفسه معجـــزة

س : يتردد فى القرآن كثيراً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو البشير النذير المبلغ عن ربه . . وأنه لا يستطيع الزيادة أو النقصان على الوحى . . وأنه ليس مسيطراً على الناس . .

ومن هنا درج السطحيون على إشاعة القول بأنه بشر مثلنا لا يزيد علينا . . فهو حامل رسالة فقط لا يزيد عن رجل البريد إلا أنه أمين .. ونحن نرى أن هذا السلوك يشكل معجزة فى شخص الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه . . فكيف نقيم الحجة على هذه الدعوى . . ؟

ج : هذا صحيح . . فعند ما نطق الرسول صلى الله عليه وسلم بالقرآن المعجز لأصحاب المواهب البلاغية النادرة . . نقول فى هذه الحالة : إن هذا القرآن ليس من عنده . . فليس من المعقول أن يكون عند عبقرية فذة هكذا ، ثم يكتمها إلى سن الأربعين .

ولذلك يعرض الله تعالى للمتشككين فيقول :

(وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى) .

فهكذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه ليس هو قائل هذا القرآن حتى يبدله . . ثم تمضى الآية الكريمة فتقول :

(قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون) .

فرسول الله يرفض أن ينسب الكمال إلى نفسه ، والناس بطبعها تدعى الكمال لنفسها ، وتنسب للنفس ما لم تفعله ، كل واحد منا يريد أن يثبت أنه عبقرى . . وأنه عالم . . وأنه فى فنه مسيطر . . وأنه لا يوجد من يفهم مشاكل الدنيا كلها إلا هو . .

وهو فى سبيل ذلك مستعد أن يسرق جهد غيره ، وينسبه إلى نفسه . . أى إن الطبيعة البشرية كلها تحاول أن تدعى الكمال ولو كذباً . . ولكن الناس يريدون أن يعطوا الكمال لرسول الله فينسبوا إليه أنه هو الذى قال هذا القرآن . .

وبدلا من أن ينساق رسول الله وراء هذا الكمال الذى يحاولون أن يلصقوه به ، لا يزيد فى رده عليهم على ما أوحى الله إليه به أن يرد فيقول :

(**لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به**) . . ثم بعد ذلك يوحى إليه الله بالدليل (**فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون**) . أى إننى عشت معكم أربعين سنة قبل أن يوحى إلى ، ولم أحاول حتى مجرد الدخول فى مزايدات البلاغة والخطابة والشعر . . ولم يشتهر عنى ذلك . . بل كنت أقول كلاماً عادياً . .

فإذا كان هذا هو خلقى وطبعى كما تعرفون فيجب أن تعلموا أن الكلام الذى أعجزكم والذى أتلوه عليكم هو وحى من الله ، وهو كلامه ، فلو كنت أحسن فن الكتابة والخطابة فربما ساوركم

الشك . . ولكنى كنت أقول كلاماً عادياً ولا أسابقكم فى مضمار الخطابة ومن هنا كان الرسول فى ذاته معجزة . . وهذه هو الدليل .

* * *

توثيق نقل القــرآن

س : يقول الله تعالى : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) . . والشيعة بدورهم يقولون : إن تحريفاً حدث فى القرآن . . فكيف نرد عليهم من واقع تدوين القرآن وقت نزوله . . ؟

ج : كان الرسول صلى الله عليه وسلم ينزل عليه القرآن . . وكان يملى على أصحابه الآية أو الآيات . . ويدونها كتبة الوحى . . وقد تطول الآيات وقد تقصر ، ولكنها أصبحت مدونة مكتوبة . . من جهة . . وأصبحت محفوظة فى صدور الحفاظ من جهة أخرى . . أى إنها أصبحت موثقة بالكتابة والحفظ .

ثم يأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الأمى الذى لا يقرأ ولا يكتب ، ويقرأ بهذه الآيات المدونة والمحفوظة فى الصلاة ، وعلى أصحابه ، وعلى الوفود التى كانت تفد عليه . . ويتطابق ما يقرؤه الرسول صلى الله عليه وسلم مع المدون المكتوب ومع المحفوظ بدون زيادة حرف ولا كلمة . . ولا تقديم ولا تأخير . . تماماً . كما نزل من عند الله . . وهذا دليل وثيق على وثاقة نص القرآن .

* * *

المضاربة الكريمة بمال الله

س : حينما نستعرض آيات الملكية فى القرآن نرى أن الله تعالى يعطينا حق الملكية فى المال على أن نعمل فيه بطريقة تشبه المضاربة . . ولكنها مضاربة كريمة ، لأن حق الله تعالى فى الربح يعود أثره على من أعطاه الله المال للعمل فيه . . نريد بياناً لهذه اللفتة .

ج : يقول الله تعالى عن الأغنياء الكانزين للمال :

(يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) .

ويقول لك بعض الناس : لماذا تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم على الترتيب ؟

لأنك عندما تلاقى المحتاج تكشر بوجهك ، إذن فهذا أول ما يكون . . ثم بعد ذلك تحاول بلباقة أن تتصنع أنك لا تراه . . فتعطيه جانبك . . ثم تعطيه ظهرك وتمشى . . فيكون الجزاء تباعاً : جباههم ثم جنوبهم ، ثم ظهورهم .

دين بهذا الشكل ، يعلمنا بهذه الصورة ، ويجعلنا جميعاً عمالا ، ولا فضل لأحد على أحد إلا بحسن العمل ، وأنت ياغنى لا تعطى الفقير من مال أبيك ، بل من مال الله وحقه .

وما دام الله قد خلقه فلا بد أن يرزقه ، إذن رزقه مطلوب من الله تعالى ، طالما يعطيه طاقة الرزق ، وهى القدرة .

إن رزقه من حصة الله فى مال الغنى ، وحصة الله ليس فيها ظلم ، لأن الله قال للغنى : أنت مضارب فيما أملك ، فأنت قد دخلت الدنيا بلا مال ، فمن أين أتيت بالمال ؟ .

إذن تأخذ أجرة عملك على قدر عملك ، وآخذ حقى ، لا آخذه لنفسى ، بل آخذها لك . لأنك عندما تعطى وأنت غنى ستأخذ وأنت فقير . . إذن فإنى أعمل لك تأمين حياة .

* * *

توثيق الديـــون . . لمـــاذا ؟

س : يأمرنا الله سبحانه وتعالى أن نوثق الديون بالكتابة . . وقد يكون المدين عاجزاً عن رد الدين . . فما فائدة التوثيق إذن . . ؟

جـ : عندما يقول الله تعالى : **(إذا تداينتم بدين فاكتبوه)** . فقوله : **(اكتبوه)** يضمن المال لصاحب المال . . صحيح . هو يضمن المال لصاحب المال . . لكنه فى الوقت نفسه يحمى المقترض من نفسه . . ويحمى المجتمع أيضاً . .

فقد يأكل المقترض المال طالما ليست هناك كتابة أو توثيق . .

فالمسألة ليست فى أكل المال .. ولكنها تجعل كل ذى مال يضمن أن يستدين أحد منه ويرد له المال .. أما ألا يرد المال المقترض ، فعندئذ تقف العجلة .

لكنه عندما يكتبه يعرف أنه لابد عليه أن يؤديه ، فيعمل ويجد ويؤديه لصاحبه . .

إذن كتابة المال ليست حفاظاً على صاحب الدين . . ولكنها حفاظ على المدين نفسه من نفسه . . وحفاظ على المجتمع من أن تتسرب إليه ظاهرة عدم الثقة .

* * *

— كأن الإسلام يمنع الدين إلا بتوثيق . . ؟

— نعم . إلا إذا كانت المعاملة بينك وبين حبيبك ، ومن ماله كمالك ، فيقول الله تعالى فى مثل هؤلاء :

(فإن أمن بعضكم بعضاً فليؤد الذى أؤتمن أمانته) .

فالذى وضعته أنت فى هذا الوضع ، ليس هناك ما يمنع من ألا تكتبه .

وكذلك إذا كانت المعاملات كثيرة وزائدة وبشكل مستمر ، فيقول الله تعالى :

(إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها)

لأن عملية الكتابة هنا متعذرة فى الديون التجارية .

* * *

الزكاة من يـد الحاكم

س : أيهما أفضل . . أن يجمع الحكام والولاة الزكاة ويوزعونها . . أم يترك ذلك لكل من تجب عليه الزكاة ، ليوزعها بنفسه ..؟

جـ : حينما كان الولاة والحكام يحكمون بشريعة الله ودينه ، كانوا هم الذين يجمعون الزكاة ، لأنهم كانوا يخافون على مال الله . .

وحكمة الإسلام فى هذا حكمة سامية . . لأن كونى آخذ من يد الوالى خير على نفسى من أن آخذ من الذى يوجد معى فى الشارع . لأنى عندما آخذ من الذى يوجد معى فى الشارع تولد عندى ذلة نفس لنفس متكافئة .

أما الوالى الكبير فنحن مسئولون منه جميعاً . . والفقير يستتر من الذلة وهو يأخذ من الوالى .

إذن المجتمع مصونة كرامته . . وصاحب الطاعة فيه مضمون له الثواب . . ليس هناك أحد تنكسر نفسه لأحد . . وليس هناك أحد تنخدش عزته . . حتى ولو لحماية غير المكلفين .

ما معنى حماية غير المكلفين ؟

يعنى مثلا أن رجلا مكلف « ورب أسرة وعيال صغار . . ويرانى أولادى أتصدق على امرأة .. إذن يمكن لأولادى أن يتكبروا على أولادها . . وقد يكسروا خاطرهم يوماً بكلمة . . ولذلك من الحرام أن يعرف الصغار أنك تعطى لفلان شيئاً .. حرام لأنهم لم يكلفوا بعد .

إذن فحين تعطى يجب أن يكون العطاء مستوراً .

* * *

ـ هناك حالات لا يثق الإنسان فيها فى الجهاز الحاكم بسبب شيوع التسيب والاختلاس فما موقف المتصدق حينئذ ؟

ـ عندما لا يثق الناس ، وعندما لم يجىء الحاكم باختيارهم ، وإنما هبط عليهم بالباراشوت ، ويرون الحاكم والذين معه يعيشون فى بذخ وترف ، يقولون : هذا كله مالنا .. فى هذه الحالة لا آمن إلا أن أعطى الذين أعرفهم من الفقراء ..

* * *

الاسلام والمصطلحات الحديثة

س : من مظاهر عبودية المفكرين لكل ما هو غريب عن الإسلام أنهم يكتبون كثيراً فى موضوعات مثل «الديمقراطية

فى الإسلام » « والاشتراكية فى الإسلام » . وما أشبه ذلك من مصطلح حديث . . فهل يعتبر هذا الاتجاه تجديداً فى مفاهيم الإسلام . . أم يعتبر جريمة فى حق الإسلام . . ؟

جـ : الذين يقولون فى الإسلام : إنه يمين أو يسار ، أو اشتراكى ، أو ديمقراطى . . أقول لهم : الإسلام ليس من هذه الجهات . . لأن الإسلام فوق ذلك كله .

والفوق من الجهات لا يعتبر تقدمياً ولا رجعياً ولا يميناً ولا يساراً ، ولا اشتراكياً ولا ديمقراطياً . . لأنه فوق ذلك كله ، لأن هذا كله اصطلاح بشر . . ولا يمكننى أن أحكم اصطلاح البشر .

وما دام الإسلام قد سبق إلى ما هو أسمى وأرقى من الاشتراكية وهو الأخوة . . فما فضول الاشتراكية فى أن تتدخل فيما جاء الإسلام بأعظم منه . . لماذا يأتى هذا الاسم عندى ؟ إنه اسم ليس له مدلول . . وإنما يكون له مدلول إذا كان مفقودا عندى ، وجاء لى بموضوع جديد .

ولماذا آتى بكل ما فيه خير من الإسلام ثم ألصقه باسم من الأسماء المحدثة المقرونة بالنظرية الإلحادية . . وأنا عندى الإسم الإسلامى الأرقى ؟ .

إما أن يكون الإسلام أوسع ، أو مساوياً ، أو أقل . .

إن كان أوسع فما دخل الضيق فى أن يدخل على الأوسع ؟ إذن فليس هناك حاجة لهذا اللفظ عندى . وكون مدلولات الألفاظ تلتقى فهذا موضوع آخر .

والناس الذين فكروا فى الاشتراكية على فرض حسن الظن بهم معذورون فى أن يذهبوا باستنباط بشريتهم إلى أشياء تخفف ويلات العالم ، لأنهم ليس عندهم إسلام ، ولم يكن عندهم دين .

ونحن نقول لهم : ما دام فى الإسلام أرقى منها فما حاجتنا إليها ؟

ما الأسبق ، هى أم الإسلام ؟ .

متى نشأت الديمقراطيات والاشتراكيات ؟

أنا لا أتهم هذه المبادئ بأنها شر كلها ، بل لها أشياء وجد فيها خير . . لكن هل كنت أنا خلوا من هذا الخير ؟ أبداً .

أنا لا ألوم روسيا ، ولا ألوم غير المتدينين فى أن يبحثوا قضايا الخير لأنفسهم بأى لون ، إنما ألوم المسلم ، لأن عنده الخير كله .

وما دام لديه الخير كله ، فلماذا يحتاج إلى هذه المبادئ ؟ .

هل يمكن أن يكون الإنسان مسلماً وشيوعياً فى آن واحد ؟ .

هم معذورون فى أن يقولوا إن القرآن ليس فيه هذا التحقيق . لكنهم لا يعرفون شيئاً عن القرآن . الذى يقول إن القرآن فيه

كذا وكذا يجب أن يكون دارساً ومستوعباً . . وأنا أتحدى أن يكون واحد من هؤلاء قرأ القرآن ، أو استنبط منه . . إذن هو يحكم على شيء دون أن يتصوره .

قرأ عن الماركسية ألف كتاب ، ولم يقرأ شيئاً عن القرآن ، وعن الإسلام .

* * *

– ولكن بعض الماركسين يقيمون الصلاة ، ويحجون ، ويتسمى كبارهم بالحاج فلان ، ولا يرون مانعاً من أن يكون الشخص ماركسياً ومسلماً في آن واحد . .؟

– عندما يقول لك : أنا ماركسى . . أليس معنى هذا أنه يؤمن بما آمن به ماركس ؟ . وما أول ما قاله ماركس ؟ .

قال : الدين أفيون الشعوب . فكيف نقول له : أنت مسلم ؟ .

وإنما يحرصون على الاحتفاظ بالإسلام أخيراً فقط لأنهم تلقوا الأوامر من أسيادهم هناك بأنه لم يحن الوقت بعد لأن نهاجم الإسلام . .

فشلت هذه القضية . . ونحن لا يهمنا ذلك .

وهو عندما يقول : إن القرآن غير صالح لقيادة الزمان نقول له : أنت كفرت لأنك اتهمت الله في أنه وضع منهجاً لا يصلح للبشر .

* * *

الإسلام يتسامى بالأنانية

س : الأنانية داء البشرية العضال . . فهي التي تصنع الفصام بين الأفراد والمجتمعات . . وهى التي تصنع الصراع المدمر بين الأمم . . وهى التي تجعل الإنسان يعيش فى « قوقعة » هى نفسه . . فكيف وقف الإسلام من هذا الداء . . ؟

ج : كل واحد فى الوجود يحب نفع ذاته . . حتى المتدين الورع الزاهد ، هو أنانى يحب نفسه . . أليس يؤثر غيره على نفسه ولو كان به خصاصة ؟ وما ذلك إلا لأنه يريد أن يأخذ الأجر لنفسه فى الآخرة .

إذن الحق سبحانه وتعالى يحترم فى الإنسان أنانيته . . ولكنه يتسامى بها . . وعندما ننظر إلى المجتمع نجد أن الإسلام ينظر إلى أن الكون كله لله . . والإنسان مخلوق . . وأراد الله أن يعطى وقوداً لحركة الإنسان فى الحياة فقال :

الذى يأتيك نتيجة لحركتك فى الحياة هو لك . . وأنا آخذ منك قدراً . . والباقى أنت حر فيه .

وما دامت المسألة بهذا الشكل ، فالذى يصبر فقيراً فهذا جزاؤه ، لأنه ليست له حركة فى الحياة . . أما الفقير المضطر فنحن متكفلون به . . ويلفت الحق نظرنا إلى ذلك فيقول :

(وآتوهم من مال الله الذى آتاكم) . .

* * *

— ولكن النظام الاشتراكى يدعى أنه يقسم المال بين الناس بالسوية . . ؟

— لنفرض أننا جئنا إلى مجتمع من المجتمعات ، وأخذنا المال ، وقسمناه بالسوية ، فبعد فترة من الزمن ستنقلب المسألة مرة أخرى حسب همة الناس ، والإسلام نظام محتواه أنك تملك ولا تملك . . أنا أملك المال ، والله يقول لى : اعمل كذا فى مالك .

* * *

— وما هو العنصر الذى يقضى على الصراع الطبقى فى النظام الإسلامى؟

— عندما طبق نظام الإسلام بالمعنى الدقيق ، من أن الحاكم مفتوح العين ، يوجد لكل إنسان عملا ، ويحمل الناس على أن يعملوا فى الحياة ، حاولوا أن يجدوا من يستحق الزكاة فلم يجدوه ، لأن الإسلام يقول : اليد العليا خير من اليد السفلى . . والعليا هى التى تعطى ، يعنى : حاول أن تكون معطياً .

إذن الإسلام يراعى الحركة فى الحياة . . والله يرعى آثارها . . ما دامت الحركة فى النطاق المشروع : استنباط المال ، واستثماره ، ومصرفه .

وهذه الثلاث هى الدعائم الاقتصادية : شرعية فى الاستنباط ، شرعية فى الاستثمار ، شرعية فى الصرف .

والدين فرض عليهم العجز ، وعدم الوجود نتيجة العجز ، وهؤلاء يعيشون من الدولة . وما داموا يعيشون من الدولة ، فالنظام الإسلامى نظام سليم .

* * *

متى يظهر الفساد ؟

س : تكفل الإسلام بأن يحمى المجتمعات من الفساد . . ونحب أن نعرف : كيف يظهر الفساد فى المجتمع ، حتى نكون على بصيرة من أمر ديننا . . ؟

ج : إن العالم لم يكد يفسد لو أن فساد الناس كان فيما اختلفوا عليه من الجزئيات . . أنا لا أريد منهم إلا أن ينفذوا ماليس عليه خلاف . . والذى يجمع الكل على صحته .

ولو أنا مضينا فى الاختلاف فى ١٠٪ من المسائل ، فلا يضر هذا الخلاف الـ ٩٠٪ . . إنما أصل الفساد فيما هو معلوم بالخلاف . فأعطنى أولا الاستقامة على ما لا خلاف فيه ، ثم تعال إلى الأشياء التى فيها خلاف ، تجدها لا تضر .

لو أن عشر الناس محسن لتحمل التسعة أعشار . . فالحسنة بعشر أمثالها . . المحسن يعوض عشرة مسيئين . . إذن فلو أن عشر

العالم محسن لا يظهر الفساد . ولكن متى يظهر الفساد ؟ . يظهر عندما تزيد النسبة .

* * *

الإسلام . . والصراع العالمى

س : الصراع الدائر الآن بين القوى العظمى فى العالم يدل دلالة قاطعة على فشل هذه النظم كلها . . ويدل بالقطع على أن الوقت قد حان لظهور الإسلام حلا حتمياً لمشكلات العالم . . ولكن الدعاة عندنا بعيدون عن هذا الاتجاه . . نريد بياناً يساعدهم على خوض هذه المعركة ، ويبرز دور الإسلام فى هذا الصراع . . ؟

جـ : لابد أن تكون الحضارة منسجمة مع النفس كلها .. بحيث تصبح النفس ذات طموح . . ولا يصح أن نعلى ناحية من النفس ونخفض الأخرى .

كان هذا يكفى بأن نضمن حقوق العمال وحياتهم . ونخفف ساعات عملهم ، ونعطيهم تأمينات صحية . . ولا مانع من أن يشترك العمال الأكفاء فى إدارة المؤسسة . . لكن الأمر كان على غير ذلك . . وانتقل الظلم من الرأسمالية إلى العمال .

إذن هناك ظلم . . ظلم طبقة . . طبقة أصبحت قوية . .

وخاصة أن مظهر قوتها الشرس فى أنها هى التى تتحكم فى تولية الحكم .

إذن الرأسمالى كان عنده مال يستغله ، ولم تكن عنده سلطة يحكم بها . . لكن الآن انتقلت إليه ومعه السلطة التى تحكم ؛ ؛ ومن هنا يجىء الخطر .

هل بقيت المكاسب التى قالوا عنها للعمال عموماً ، أم بقيت لأفراد خاصة يسمونهم الحزب ؟ .

ومن العجيب أنهم ينادون بالاشتراكية فى كل شئ إلا الاشتراكية فى الحكم . . لماذا تكون طبقة واحدة هى التى تحكم ؟ . هم ينادون بالاشتراكية . . ولكننا لا نجد أبداً إلا الاحتكار فى الحكم . وأن يكون الحاكم من طبقة العمال . أو من الحزب القائم . . فلماذا لا تكون الاشتراكية فى الحكم ؟ .

ومع ذلك ، هل ثبتت عند هذا الحد ؟ .

لا . . لم تثبت عند هذا الحد . . لماذا ؟ .

لأن من الجائز جداً كما حدث فى مصر حينما أصابتنا هذه العدوى ، وأممنا المؤسسات ، وفرضنا الحراسات ، ظلت المؤسسات بقوة الدفع الأولى ، وبما فيها من دسم الخير الذى كان موجوداً سائرة فى الحياة مدة طويلة . . وبعد ذلك خارت قواها ، لأنها لم يعد لها رصيد ذاتى من القوة ، فلما خارت قواها انكشفت وأصيبت بالخسائر . . وأصبح هناك ضعف فى الإنتاج .

فماذا كان هناك فى الدول الشيوعية الأصيلة ؟ .

بدأوا فى الرجوع بعض الشئ عن مبادئهم . . فسمعنا كلمة « الحافز » ومعناه أننا نملك المجتهد شيئاً . . نملك المتقن شيئاً .

إذن هم رجعوا عن مبادئهم الأصيلة . . لماذا رجعوا عن مبادئهم الأصيلة ، مع أنها لا تزال فى دور التطبيق منذ خمسين سنة ؟

قالوا : إن العجلة لن تسير . . سارت بقوة الدفع الأولى . . فلما وكلت إلى قوتها الذاتية لم تعد قادرة على السير ، فكان لابد لها أن تتراجع .

والنظام الثانى الرأسمالى بدأ أيضاً يرى هذا الغزو الطبقى ، فماذا صنع ؟ .

تنازل قليلا عن تحكم الرأسمالية . . أعطى للعمال حقوقاً . . حدد ساعات العمل . . وكون للعمال نقابات . . وأعطاهم أجوراً أعلى . . وغير ذلك من الحقوق .

إذن الرأسمالية ثبت فسادها حينما تراجعت . . والشيوعية ثبت فسادها فتراجعت . .

ولم يتراجعا كمذاهب اقتصادية فقط . . بل ابتدأ الإثنان يتراجعان ليلتقيا فى الطريق . . وبدآ يسيران فى طريق المواجهة . . وليس فى طريق المدابرة ، لأن طريق المدابرة معناه : أن الرأسمالى يسير وظهره للمبدأ الآخر . . والشيوعى يسير وظهره للمبدأ الآخـــــر .

معنى هذا : أن المذهب الإصلاحى أصبح يحتم عليهما أن يلتقيا ، بأن هذه تتنازل عن خطئها وهذه تتنازل عن خطئها .

حين يوجد ذلك ينبت الإسلام . . لأن الإسلام دين الوسط لهذا السبب .

* * *

وحى الله إلى البشر

س : حينما ندرس سير الأنبياء والمرسلين ، ونريد أن نثبت لجماعات الملاحدة صدقهم فيما ادعوه من إيحاء الله إليهم . . فأى علامة من العلامات التى يدركها الباحث، ويركز عليها، ليثبت رأيه فى صدق النبوة أو كذبها . . ؟

ج : حين يوحى الله لبشر ، تجد التسليم المطلق فى كل ملكات النفس . . ولا تجد أية معارضة ، ولذلك فإنه قد يأتى وحى من الله بأمر مناقض للعقل ، ومع ذلك نقوم به ونتبعه . مثلا : أم موسى قال لها الله سبحانه وتعالى :

(فإذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى) .

ولو أنك ذهبت إلى أى إنسان يخاف على ابنه من خطر ، وقلت له : ألقه فى البحر ، لاتهمك بالجنون ، ولم يقبل كلامك . . لأنك فى هذه الحالة تريد أن تنجى الابن من موت مظنون إلى موت محقق .

فالابن إذا كان يتعرض للخطر ، فإنك تأخذه وتخفيه فى مكان آخر . . أو تهاجر به من دولة إلى دولة أخرى . . أو تقوم بإخفائه بحيث لا يظهر أبداً . . ولكن أن تلقى طفلا بلا حول ولا قوة فى البحر . . فإنك تحكم عليه بموت محقق ، لأنك تقذف به إلى أمواج وتيارات قد تقتله .

فإذا نجا من تيارات البحر فهناك الطيور الجارحة . . وهذا طفل صغير ، لا يستطيع الدفاع عن نفسه ، فإذا نجا من الطيور كانت له الريح بالمرصاد . . تستطيع أن تقلب الصندوق الصغير الذى يرقد فيه . . فإذا نجا من الريح كانت هناك الأمطار يمكن أن تملأ الصندوق فيغرق .

وهكذا إذا نجا من واحدة لقى مصرعه فى الأخرى . . ولكنك توصله إلى موت محقق .

ولقد أراد الله سبحانه وتعالى أن يعلمنا من ذلك : أنه مهما حفت بنا الأخطار فلا نحس أن هذا غضب من الله . . فقد يكون هذا الطريق المغلق طريق نجاة رسمه الله سبحانه وتعالى . . فلايدخل اليأس إلى نفوسنا أبداً . . ولا نحس ولا نعتقد أننا انتهينا .

ولكن الذى نريد أن نصل إليه هو أنه حين أوحى الله إلى أم موسى أن تلقيه فى البحر أو النهر ، قامت أم موسى بوضع طفلها فى صندوق ، وألقته فى الماء دون أن يكون فى نفسها أى

معارض يمنع هذا ، رغم أن العقل يرفضه . . وهذه هى سمات الوحى فى مخاطبته لملكات البشر .

والله سبحانه وتعالى حين أوحى إلى أم موسى : أن ألقيه فى اليم ، جعلها تسمع أمره إلى الماء أن يلقيه بالساحل فى قوله تعالى :

(فليلقه اليم بالساحل) .

والأمر هنا قد صدر من الله للماء . وعرفت أم موسى أن اليم سيلقيه بالساحل . . فأرسلت أخته لترى أين يذهب . . وفى أى مكان سيلقيه الماء .

* * *

يأس الكفار من حرب الإسلام

س : اضطرب منطق الكفار فى مكة بعد أن يئسوا من حرب الإسلام فى شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم . . فما مظاهر هذا الاضطراب ، وما دلالته . . ؟

ج : حين أرسل الله سبحانه وتعالى محمداً صلى الله عليه وسلم ، وفاجأ الناس بهذا البيان ، ذهلوا . . ولم يستطيعوا أن يردوا . . كانوا يريدون تكذيب القرآن ، ولكنهم لا يعرفون كيف يكذبونه .

قالوا : هذا ساحر . . وكان الرد ببساطة : أن المسحور ليست له إرادة مع الساحر . . ولذلك نقول لهم : إذا كان محمد ساحراً ، وسحر الناس ، فلماذا لم يسحركم أنتم ؟ لماذا لم يسحركم حتى تؤمنوا به . ؟ لو كان ساحراً لما امتنعتم عليه . . إنما كونكم الآن جالسين تردون ، معناه أنه لم يسحركم . . وهذا دليل على أنه ليس بساحر .

وقالوا : هو مجنون . . ونحن نقول لهم : إن الجنون هو عمل بغير رتابة . . بمعنى أنك لا تستطيع أن تتنبأ بما سيفعله إنسان فاقد العقل . . بل إنه قد يكون جالساً معك يتكلم . . ثم بعد دقيقة واحدة يضربك أو يقتلك .

رتابة العقل هنا غير موجودة . . فغير العاقل لا يمكن أن نقول : ماذا سيفعل فى الدقيقة التالية .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان على خلق عظيم . . بشهادة الله سبحانه وتعالى . . وبشهادتكم أنتم . . حتى كنتم تلقبونه بالأمين . . وتأتمنونه على أموالكم . . وعلى كل شيء له قيمة . وكيف يمكن أن تأتمنوا إنساناً بلا عقل ؟ إذن فأنتم تردون على أنفسكم .

* * *

ـ ربما قالوا : إن الموهبة جاءته فجأة .

لا يوجد إنسان تأتى إليه المواهب فجأة . . فأنت إذا أردت أن تتعلم شيئاً لابد أن تبدأ بالتجربة والخطأ ، فإذا أردت أن تقود سيارة لابد أن يأتى إنسان يعرف قيادة السيارة ويعلمك . . فتخطئ وتصيب . . ثم بعد ذلك تقود السيارة آلياً . ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعلمه أحد البلاغة . ولم يتدرب عليها .

وكان خلقه الحق والصدق ؟ . ولقبه الأمين . . والسلوك هو : انطباع النفس على خلق معين انطباعاً ييسر الحركة فيه بدون فكر . . فيقال : فلان خلقه الكرم . أى : إنه كريم حتى ولو كان يملك القليل . . خلقه الصدق . أى : إنه صادق حتى ولو على نفسه . . خلقه الأمانة . أى : إنه أمين مهما بلغت قيمة ما تأتمنه عليه . . لا يطمع ولو كان فقيراً . . ورسول الله صلى الله عليه وسلم عرف بهذه الطباع كلها . . وعرف بأنه على خلق عظيم .

ولقد تعب الكفار من أن كل ما حاربوا به هذا الدين أظهر الله كذبه وبطلانه . . ولهذا قالوا :

(اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء) .

وكان المنطق أن يقولوا : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه ، إنما هذا دليل على كراهيتهم للحق ، وتبنيهم للباطل . . وقالوا :

(لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم)

لأنهم يريدون واحداً منهم ، يأمنونه فى أن يكون معهم ، ولو كان هذا ضد الحق .

فالاعتراض هنا على أنه ليس من هؤلاء الأغنياء الذين يمكن أن يتعاطفوا معهم ، أو يمكن أن يتبعوهم دون أن يحسوا بأن شيئاً قد تغير .

* * *

نهايـــة الخـــلق

سئل العارف عبد القادر الجيلى رضى الله عنه : ما هى النهاية ؟ أى : ما هى نهاية البشر والدنيا ؟ فقال :

هى : الرجوع إلى البداية . . أى إن الله سبحانه وتعالى يعيد الخلق مرة أخرى . . فكأننا حين ننتهى نعود إلى البداية من جديد . قال الله تعالى : **(كما بدأكم تعودون)** .

* * *

إدراك الغيب . . لكل الناس

س : الفلسفة المادية أو النفعية تتشبث بكل محسوس . . وتنكر ما عداه . . والإسلام يقرر الغيب حقيقة واقعة . . فهل أعطانا الله سبحانه وتعالى فى حياتنا نماذج من إدراك الغيب يمكن أن نرد بها على هؤلاء . . ؟

ج : نعم . . فالإنسان فى علاقته بالله سبحانه وتعالى يدخل فى حالات تتغير فيها طبيعة اتصاله بما هو غيب عنه . . حتى بالنسبة للشخص الواحد :

فأنا مثلا فى اليقظة . . وفى حياتى اليومية أرى أشياء بقدر ما تعطينى هذه اليقظة من وعى دنيوى . . أو بقدر ما يحجبه عنى جسدى المادى من أشياء لا أستطيع أن أراها . فإذا تمت تغير الحال ، وتغير قانونى مع الكون ، وأصبحت أرى أشياء لا أراها فى يقظتى . . ولا تدخل فى نطاق العقل البشرى . كأن أرى نفسى أطير فى الهواء بدون طائرة . . أو أرى نفسى فى أماكن لم أرها فى حياتى . . أو أتحدث مع أشخاص انتقلوا إلى رحمة الله منذ مدة طويلة ، وفارقوا هذه الدنيا . . أراهم رؤية العين : ، وأتحدث إليهم حديث البشر للبشر . . أو أرى أشياء عجيبة تحدث ولا تتفق مع العقل والمنطق . . كأن أسقط من فوق جبل عال جداً ولا يصيبنى سوء . . أو يضربنى إنسان بآلة حادة ولا أموت .

والعجيب أن الرؤيا تتم والعين مغلقة : أى إن كل ما أراه لا يتعلق ببصرى الدنيوى الذى يحتم وجود شيئين :

أولهما : أن تكون العين مفتوحة :

والثانى : أن يكون هناك ضوء ، أو بصيص من الضوء .

فإذا أغمضت عيني في الحياة الدنيا لا أرى . . وإن كان الظلام حالكاً لا أرى . . ولكن كلا الشيئين يكون موجوداً وأنا نائم . . فالعين مغلقة . . والظلام حالك ، ومع ذلك أرى . . وأرى بوضوح شديد جداً .

إذن فالروح لها قوانين مختلفة عن قوانين الجسد. وهي يمكن أن تلتقي مع الذين فارقوا الحياة وتتحدث معهم . والإنسان حين يكون نائماً ينتقل إلى عالم غير عالم اليقظة . . فتلتقي روحه مع أمه وأبيه . . فإذا استيقظ ضاع كل هذا .

والعلم في هذه الحالة عاجز عن أن يفسر لنا هذه الظاهرة . . فإذا سألت أبرع العلماء عن هذه الظواهر حدثنا بكلام لا دليل عليه من العلم . فإذا سألته أن يشرح لك القانون الذي يخضع له الإنسان حين ينام . . وكيف يمكن أن يرى وعيناه مغمضتان . . وأن يسير ورجلاه فوق السرير راقدتان ، وقف عاجزاً عن أن يقدم لك شرحاً لهذا القانون . . أما نحن فلا نملك إلا أن نقول : سبحان الله .

* * *

الله والزمن

س : قلتم مراراً وتكراراً إن الله تعالى لا زمن عنده . . ليس عنده ماض ولا حاضر ولا مستقبل . فبماذا نفسر حرف

« السين » وهى تدل على الزمن المستقبل القريب .
« وسوف » وهى تدل على المستقبل البعيد . وكلاهما
وارد فى القرآن ، وهو كلام الله . . ؟

ج : نقول لهؤلاء : إن الله تعالى لا زمن عنده ، ولا تحده حدود ولا قيود ، ولكن القرآن كتاب منزل من عند الله . . ولذلك فهو يخاطب الناس على قدر عقولهم ، ويعطيهم بالقدر الذى تفهمه بشريتهم . . ويتفق مع القوانين والأسباب التى وضعها الله تعالى فى الأرض .

الثواب والعقـــاب

س : بعض الناس ينظر إلى الثواب والعقاب كواقع . . ولا ينظر إليهما كدافع إلى العمل . . ويقولون : إن الله حين يشرع الثواب أو العقاب على شىء ، فليس معنى ذلك أنه يريد حدوث الأمر المعاقب عليه . . فعندما يقول : إن السارق تقطع يده . . فهو لا يريد من الناس أن تسرق . . ولكن الغرض هو عدم السرقة . . فما الرأى فى هذا . . ؟

ج : أنا أريد أن أسأل من يقولون هذا : ألم ينظر أحدهم فى حياته اليومية ليجد البشر بتفكيرهم ولو كان غير دينى ، يضعون قوانين ثواب وعقاب ؟ .

ألم تضع الأم ثواباً وعقاباً لأبنائها ، وهى أحن الناس عليهم . .

وكذلك الأب ؟ . والدولة تضع ثواباً وعقاباً لمن تربيهم من أبنائهـــا ؟ .

إذن فكل راع على شيء يضع ثواباً وعقاباً لرعيته . . فما دام الناس قد آمنوا بأن الله هو الذى خلق ، فمن المنطقى أن يضع ثواباً وعقاباً . . ولو لم يضع الثواب والعقاب لوجدت فجوة كنا نسأل عنها ، لأن أتفه الأفكار فى الدنيا يضع الثواب والعقاب .

فوجود الثواب والعقاب ضرورة مع وجود الاختيار . . فما دمت مختارا لأن تفعل أو لا تفعل فلابد من وجود ثواب وعقاب . . وإلا انطلقت حرية الفعل . . ما دمت مختاراً فلابد أن تتحمل نتيجة اختيارك .

فالتلميذ يذهب إلى المدرسة وهو حر فى أن يستمع إلى مدرسه أو لا يستمع . . يفهم أو لا يفهم . . يذاكر أو لا يذاكر . . فهو مختار طول العام . . ولو لم يوجد اختبار آخر العام ونجاح ورسوب لما حاول أى تلميذ أن يجهد نفسه فى الاستذكار والتحصيل أثناء العام .

إذن فوجود الثواب والعقاب هو ضمان لعدم انحراف حرية الاختيار . . ولذلك لا نضع ثواباً وعقاباً لأمر لا اختيـــار لنـــا فيه .

إذ فلا يصح أن نسأل : لماذا يوجد ثواب وعقاب . . ولكن

لو لم يكن الثواب والعقاب موجوداً لكان يجب أن نقول : لماذا لا يوجد ثواب وعقاب ؟ .

والمراد من العقاب ليس أن يقع المحظور . . ولكن تلافى وقوعه . . فعندما أقول : إن السارق تقطع يده فليس معناه أننى أقول له : اسرق لأقطع يدك ، بل معناه أنى أقول له : إياك والسرقة ، وإلا قطعت يدك .

ثم ننظر إلى شخص سلك فى حياته مسلكاً نافعاً للمجتمع ، وعاش لا يعتدى على حقوق الغير . . وإنسان آخر على عكسه . . أمن العدل أن يكون هذا مثل الآخر ؟ . هل من المعقول أن يتساوى إنسان منحرف فى الحياة يقتل ويسرق ويعتدى على الغير مع إنسان شريف أمين مسالم ؟ .

إذن فالجزاء يجعل حياة الإنسان فى الدنيا والآخرة وحدة لا تنعزل إحداهما عن الأخرى ، فلا يكون سعيداً فى الآخرة إلا إذا أحسن فى الدنيا . . فلا ينفصل عمله فى الدنيا عن جزائه فى الآخرة . لأن حياته فى الدنيا والآخرة وحدة واحدة .

كذلك عندما يعمل إنسان عملاً شريراً فإنه يكون أسوة لمن يراه ولا يجد عقاباً يردعه .

* * *

جــرم الإنســان

س : يسأل الكثيرون عن الجرم الذى فعله الإنسان ليعذب كل هذه المراحل من العذاب يوم القيامة . . ؟

ج : إنه لا يعذب المؤمن بالله . . ولكن من يعذب هو من يأخذ نعمة الله التى أنعمها عليه ثم يستعملها فيما لم يأمر به الله .

ويكفى الإنسان من الله نعمة وجوده فى الكون . . وإمداد الله للإنسان بما يكفل له الحياة . . وأنه وهب للإنسان عقلا يخطط ، وجوارح تنفذ ما خططه العقل ، ووهب له المادة التى يستعملها فى تنفيذ حاجاته . وبعد كل هذا يأتى الإنسان ليجرم فى الكون . . فلا بد أن يكون نتيجة هذا الجحود والنكران شقاء الجاحد المنكر فى الآخرة .

* * *

العبودية للإنســان

س : سألت سائلة فقالت : ما سبب الشقاء والذل والعبودية من الناس بعضهم لبعض . . ؟

ج : وأجاب فضيلة الشيخ فقال : إنه لا يعتد على الدين بأمر ليس من الدين . ولكن فعل الناس ذلك لأنهم على غير منهج الدين . فلا تأخذى مخالفات الدين على أنها حجة ضده .

وما دام الناس قد فعلوا ما تقولين من ذل وعبودية بعضهم لبعض . . فلماذا نستكثر عذاب الله لهم وقد استبشعنا فعلهم الخاطئ هذا ؟ .

* * *

حائـــرة فى دينهـــا

بعثت سيدة حائرة بعدد من الأسئلة إلى فضيلة الشيخ فأجاب عنها فى مجلة حواء بتاريخ ٨٢/٣/٦ . ومن هذه الأسئلة

ـ ألا يكفى الله نفسه العناء من خلق آدم . . ؟

العناء من الفاعل يحدث عندما يفعل بالمعالجة . . ولكن الله سبحانه يفعل ما يريد بلا معالجة . . فإذا أراد شيئاً قال له : كن فيكون . فهو سبحانه وتعالى لا يتعب .

ـ أين هو المكان الذى يمكن أن يتسع لبلايين البشر يوم القيامة . .؟

يبدو أن السائلة لا تعرف أن هناك أرقاماً فوق البليون . . فالبلايين لا تساوى شيئاً بالنسبة لخلق الله منذ آدم إلى النهاية .

ونحن الآن فقط الذين نحيا على الأرض فى هذه اللحظة أربعة بلايين . . ونحن خلفاء لمن قبلنا . . ثم كم يخلفنا بعد ذلك ؟ .

ويبدو أنها أيضاً لا تتصور حجم الكون . . فالأرض كوكب من أحد عشر فى المجموعة الشمسية . . والمجموعة الشمسية

واحدة من مائة مليون مجموعة شمسية فى مجرتنا التى نعرفها . ونعرف غير مجرتنا مليون مجرة . وكل ذلك دون السماء الدنيا .

إذن فأين ملك الله ؟ وما السموات والأرض وما بينهما بالنسبة لملك الله إلا كحلقة ألقاها ملك فى فلاة .

وعلم الفلك يسر علينا هذا الفهم . . وهو يحسب حساباته بالحساب الضوئى ، لتقريب الأرقام الكبيرة جداً إلى أذهاننا .

ولا يمكن أبداً أن نتصور ملكه سبحانه وتعالى . . فأنت حينما تصورت أن العالم ينحصر فى كوكب الأرض فكأنك اعتقدت أن العالم هو العمارة التى تسكنين فيها . . أو المدينة التى تعيشين فيها .

* * *

— وتقول : إذا كان المرء يفر من أبيه وأمه وأخيه يوم القيامة ، فأين يذهب كل الحب لأبى وأمى وإخوتى . . ؟

— لقد أراد الله سبحانه وتعالى أن يضرب مثلا للإنسان بأن له ذاتية . هذه الذاتية تجعل حبها دائماً لأنفعهم لها . . ولذلك فإن حب الولد لأمه لا ينشأ لمجرد أنها أمه . . ودليل ذلك أن الطفل إذا ابتعد عن أمه . . وأرضعته وحضنته امرأة أخرى . . واعتنت به وربته . . فإن الولد لا يحب أمه ، ولكن يحب من أحبته وحنت عليه .

ووضع الله فى الأب والأم حباً لأبنائهما قدر الحاجة . ولذلك فعندما سئلت المرأة : من أحب أولادك إليك ؟

قالت : الصغير حتى يكبر . . والمريض حتى يشفى . . والغائب حتى يحضر .

إذن فالحب يكون حسب الحاجة .

ويوم القيامة لا يتعرض المؤمنون الذين عملوا الصالحات لمثل هذا . . قال الله تعالى :

(الذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم)

أما الذى يفر من أهله فهو الذى عمل المعصية ، وأغضب الله . . وجزاؤه العذاب . . فيعيش كل واحد حينئذ فى مصيبته . أما المؤمنون فيعيشون آمنين مطمئنين .

* * *

– وتسأل : أيرضى الله أن أفر ممن كانوا سببا فى وجودى . . ؟

– لا أعرف لما تستغربين ذلك إذا كان هذا الإنسان قد فر بالكفر والمعصية ممن أوجد السبب فى وجوده ؟ .

* * *

– وتقول انحياتنا معلومة عند الله قبل أن نولد . . فلم يحاسبنى على جرم هو مكتوب على من قبل . . ؟

– يجب عليك أن تعرفى أن هناك فرقاً بين أن يكتب الله علينا ما علم أننا سنفعله . . وبين أن يكتب علينا شيئاً لنفعله .

فهو سبحانه يكتب على أزلا ما علم أنى سأفعله باختيارى . .

كما يأتى أستاذ الفصل ليقول قبل الامتحان : إن فلاناً ينجح ، وفلاناً لا ينجح . . وبعد ذلك تأتى النتيجة وفق ما قال . . وهذا دليل على سبق العلم . . وليس دليلا على تدخل الأستاذ فى الامتحان .

* * *

دور الداعية فى هـــذا العصر

س : سئل فضيلة الشيخ : ما هى حدود دورك كداعية إسلامى ؟ وما طبيعة هذا الدور ؟ وماذا تأمل وترجو منه . . ؟ ومتى تكون راضياً عن نفسك فى هذا . . ؟ وكيف يمكن أن يتطور دور الداعية . . ؟ وما هى حقيقة آمالك . . ؟

ج : إذا كان لى أن أقدم شيئاً قبل أن أجيب على هذه التساؤلات ، فإنى أحب أولا أن نتفق على معطيات . . لأن العقول البشرية أجل من أن تختلف فى أمور تجتمع على مقدماتها . . ولكن الخلاف إنما ينشأ فى النتائج لاضطرابنا فى فهم المقدمات .

فإذا ما اتفقنا على المقدمات ، أمكننا بعد ذلك أن نوجد للفكر أرضية يقف عليها . . لأننى كما قلت أجل عقلى أن يختلف فى أمر له أرضية يتفق عليها .

وكل ما يظهر من الخلاف حين توجد هذه الأرضية إنما نسميه نحن اختلاف وجهة نظر . . أو انفكاك الجهة .

حين نتكلم عن دورى أنا ، وما أرجوه وما آمله ، وما وسائلى فى هذا الدور ، أقول :

إن دورى أنا هو : استكمال إيمانى أولا . . ومعنى استكمال إيمانى : أن هناك قضية من قضايا الدين تقول : لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه . . فإذا كنت قد ذقت شيئاً من حلاوة هذا الدين الذى آمنت به ، فإن من كمال إيمانى أن أنقل هذه الحلاوة إلى غيرى .

هذه أولا قضية شخصية . . وبعد ذلك أنتقل إلى دورى .

إن كل مريد للإصلاح يكون أنانياً أيضاً . . قد يبدو فى مظهر الإيثار . . ولكنه فى الحقيقة والواقع فى مظهر الأثرة والأنانية . . لماذا ؟ .

لأن المصلح لا يتحرك للإصلاح إلا إذا كان قد رأى فساداً . . ومن الخير لنفسه ألا يوجد فساد . . فحين يحارب الفساد فى أى مظهر من المظاهر لا نقول : إنه يصلح المجتمع فقط . . ولكنه يريد أن يكسب من هذا وأن يستريح .

لأن الإنسان حين يكون مستقيم السلوك يريح غيره . . وغيره إن كان غير مستقيم السلوك يتعبه . . إذن فمن صالحى أنا أن يكون الكل مستقيم السلوك .

إذن فصوت الإصلاح فى كل مجال من مجالاته يعتبر حباً للخير فى ذات النفس . . والدين أيضاً يؤول إلى هذا . . فحين

يريد الله منى أن أوثر غيرى بالخير ، فذلك لأنه يمنينى بشىء أحلى منه . . يريد مثلا منى أن أنفق قرشاً ليعطينى عشرة . . فهذا إيثار . . يريد منى أن أضحى بنعيم له فترة محدودة ، لأنه يعطينى نعيما بلا حدود .

إذن فكل دعوة للإصلاح تنبع من الخير المرغوب للذات . . والخير المرغوب للذات يجب أن يكون مثالياً . وليس خيراً عاجلا . . لأنى قد أطلب الخير لنفسى . . وبعد ذلك يأتى الشر .

إذن فكل دور المصلح إنما هو استكمال ذاتيته الإيمانية . . وحين يستكمل ذاتيته الإيمانية نقول له : إنك تريد أن تعيش فى مجتمع طاهر . . مجتمع نظيف . . مجتمع راق . . مجتمع له مثله العليا ، لترتاح أنت .

فإذا ما كان الأمر كذلك ، فيصبح حمقاً من أى واحد ألا يكون فى دور المصلح . . لأنه يفوت على نفسه أشياء كثيرة . . ويشقى بشرور المجتمع . . ولكنه إن أراد أن يعرف خيراً فلينقل خيراً . . وبذلك يكون للعلم ميزته .

ونقل العلم إلى الغير يعطينا صورة كريمة . . لأنه عندما أنقل العلم للغير أريد من الغير أن يسوس حياته على ضوء ما علم .

وأنا الذى أستفيد . . لأن المجتمع استفاد من العلم عندى . . وأنا لم أستفد من جهله . أنا بالعكس ، شقيت بجهله . . فمن الخير أن أعلمه .

والحق سبحانه وتعالى أراد من خلقه أن يتفقوا على هذه الأرضية . . ونتفق أيضاً على أننا آمنا برسالات السماء . . ونتفق أيضاً على أن هناك رسالة جاءت هي رسالة خاتمة ، وهى رسالة الإسلام . .

إذا اتفقنا على ذلك . فنحن نريد أن ننظر إلى المسألة نظرة تحدد لنا مواقع صراعات الرأى ، ومواقع تحككات الرأى .

* * *

احتكاك الرأى . . . وتحكك الرأى

ـ ما الفرق بين احتكاك الرأى وتحكك الرأى . . ؟

ـ هناك فرق بين احتكاك رأى برأى . . وبين تحكك رأى برأى . . الاحتكاك يورى . . أى يخرج شرارة . . ولكن التحكك يوارى . . أى يغطى .

وعندما أجد كل شىء يقول اتحككنا . فمعناه : طمسنا القضية . ولكن المطلوب فى الإسلام أن نحتك . . ونحتك فى ماذا ؟ هل نحتك فى كل شىء ؟ .

لا . . إنما نحتك فيما سمح لنا المشرع الذى أسلمنا زمامنا له أن نحتك فيه . . فالحياة فيها قضايا يجب أن تكون أصيلة مسيطرة لا لرأيى ولا لرأيك . . لأن الأديان إنما جاءت لتعصمنى من رأيك . . وتعصمك من رأيى .

(ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض)

فالذى يفسد الآراء هو الهوى . . والقضايا الأصيلة التى ليس لنا فيها أى عمل أبداً ضمنها الله فى تشريعه . . فى شىء اسمه « **المحكم** » . لأنه لو ترك كل أمر لاجتهادنا لأدخلنا الغاية فى الصراعات . فكان لابد أن يأتى بأصول . . هذه الأصول غير محكومة لا لهواك ولا لهواى . . لا لعقلى ولا لعقلك . . لماذا ؟

لأن العقل يأخذ حصيلة تجارب ناقصة . . مستواه الثقافى محدود . . والذى يدل على ذلك أن الناس الذين ارتضوا أن يسوسوا حياتهم بقوانين من عندهم لا تنضج القوانين عندهم مرة واحدة ، فهم يصنعون القوانين ، وعند تطبيقها يجدون أن هناك ثغرات فيحاولون تعديلها . . ويحاولون تغييرها .

لأن المشرع ساعة شرع غاب عن ذهنه أولا ما يؤول إليه التطوير .

ولكن الذى شرع فى القضايا الأصلية يصبح من غير الممكن أن يجىء عليه استدراك من واقع المجتمع .

لكن قوانين البشر يأتى المجتمع بأحداثه ويضغط بهذه الأحداث ، فيضطرهم إلى أن يغيروا . ولكن بعد ماذا ؟ . . بعد ما يكون المجتمع قد شقى بتجربة الأحداث .

إذن فالإسلام إنما جاء ليعصمنى من هذه المسألة . . إذن فالأصول ضمنها الله لى ولك . أما الشىء الذى لا يضر إن اختلفتم

فيه ، ولكن للذى يحدث أن كل واحد يعتبر أن رأيه هو الصواب ورأى غيره هو الخطأ نقول له :

لا . . لو أراده الله واحداً لجعله من المحكم الذى لا اجتهاد فيه أبداً . . ولكن تركه محتمل للاجتهاد احترام لما يؤول إليه أى اجتهاد .

ولذلك إذا اختلفنا فأنت تفعل هذا جائز . . وأنا أفعل هذا جائز . ولكن الذى يحدث الفجوة بيننا ماذا ؟ .

هو أنك إذا علمت هذا أقول لك : إنك كافر . . إنك قاصر . أقول له : لا . . لو كانت المسألة كما ترى فأنت بذلك تضيع على المشرع حكمه فى أن يترك شيئاً لتجتهد فيه .

ولذلك إذا نظرت إلى التشريع تجد المحكمات جاء بها صريحة لا تحتمل رأيى ولا رأيك . . ولكن الأمر الذى يحتمل رأيى ورأيك تركه الله لنبين للناس بمقدار اجتهادنا فيه .

* * *

— **نريد مثالا يوضح هذا النظر . .**

— الوضوء وهو مدخل العبادة الأولى وهى الصلاة . . حين أراد الله أن يهيئنا نفسياً للصلاة أمرنا بالوضوء . . ماذا قال ؟ قال :

(إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق)

يعنى الأيدى داخلة فى الأمر بالغسل . . أى إن الأمر ينصب على

غسل لأيد الوجوه واى إلى المرافق . المغسول فى الأول الوجه ، وفى الثانى الأيدى . الوجه لم ترد فيه غاية والأيدى جاءت فيها غاية (**إلى المرافق**) كأن الله يريد أمراً محدداً . .

لكن الوجه عندما لم يوجد فى اللغة ما يختلف عليه فيه فلم يحدد ، لأن الوجه معروف بالاتفاق . . إذن فليس عليه خلاف . ولكن الأيدى فيها خلاف . والله لا يريد أن يدخل الخلاف فى هذه فقال : (**وأيديكم إلى المرافق**)

ولو لم يجىء بالغاية هنا (إلى المرافق) لجاء من يقول : إن الأيدى تطلق على الكف ، أو إلى الكوع . أو إلى الكتف . وكنا نقول : إنه احتمال وارد . ولكن الله لا يريده احتمالا ، ويريده إلى المرافق .

إذن فحين أراد أن يحدد لم يعجزه الأسلوب الذى يحدد به . فلماذا لم يقل: امسحوا رءوسكم . كما قال :(**فاغسلوا وجوهكم**) ولماذا لم يحدد مقدار ما يمسح من الرأس ؟

إذن الإطلاق هنا يدل على أن أى رأى يحتمله النص مقبول عند الله . . فالباء هنا للاستعانة . إذن فالأمر الذى يرد فيه الاجتهاد يحترم اجتهاد الفرد فيه . ولكن الأمر الذى يحدث فيه فساد بالاجتهاد يجىء محكماً .

* * *

الفهرس

الموضوع	صفحة

أخى القـــارئ :

فى العدد القادم إن شاء الله . . اقرأ عن :

* الشيخ الشعراوى والإخوان المسلمون .
* قتل الرئيس أنور السادات .
* العلاقات السياسية مع اليهود .
* التحـــرر الدينى .
* الجمعيات الدينية . . والجماعات الإسلامية .
* المرحوم العلامة الشهيد « سيد قطب » .

وغير ذلك من الموضوعات الجـــديدة . . .

مطبعة التقدم

٤٤ شارع المواردى بالمنيرة ت ٨٤١٤٢١

للطبع والنشر والتوزيع
٣١٧ ش بور سعيد ت ٩١٢٠٢٦

